يد الله في الأرض

الكتاب الأول من سلسلة

"والبشر لا يدر ي"

تأليف

شادي الكردي

كتاب: يد الله في الأرض
تأليف: شادي الكردي
الناشر: أدباء 2000
الطبعة الأولى 2018
رقم الإيداع: 2017\27945
تصحيح لغوي: محمد بن عماد آل مسيل
إخراج فني: مدحت رأفت
تصميم الغلاف: محمد علي
المدير العام : منة عامر
حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لدار أدباء 2000 للنشر والتوزيع-2017

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أو نقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقة خطية من الناشر مقدما

دار أدباء 2000 للنشر والتوزيع
نشر – توزيع
0020/01020812429 – 01099654718

الاهداء

أُهدي هذا الكتاب المتواضع راجيًا من الله عز وجل أن يجد القبول والنجاح

اهداء إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره"

وإلى من علمني الصبر والصمود (أبي عبدالمحسن الكردي)

وإلى التي عندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي والتي كانت سند حقيقي لي (أمي جيهان زايد) وإلى من يساندوني في حياتي إخوتي إيهاب ونورهان

وإلى من أفتقده في مواجهة الصعاب خالي الحبيب أحمد زايد رحمة الله عليه والى خالي الحبيب ومثلي الاعلي طارق زايد وعمي الغالي الذي علمني الكثير على الكردي وخالتي وعمتي فاطمة زايد ومني الكردي والى عائلتي "محمد وهاني سعيد" و "معتز وبسنت احمد" و "دينا ومحمد وكريم طارق" و " ومحمد ومحمود ابراهيم حليم"

واهداء خاص لاحبابي

طنط نفرت .. وطنط فيرا

كما اهدي كتابي لمن جعلوني اخ لهم

مروة الصعيدي و مني الصعيدي و منال الصعيدي

واهداء خاص إلى من كانوا يضيئون لي الطريق الذي ينير لي درب النجاح، وكانو السبب الرئيسي في طباعة هذا الكتاب والى من دعمني وشجعني د .مروة الصعيدي و د .عمرو مرزوق واستاذة منة عامر ومعلمي الاستاذ عبدالمنعم السيد السعودي ومهندس احمد حسين والعميد محمد الكردي واللواء احمد مندور واصدقائي واقاربي نادين رضا .. عبير السيد .. ايناس كمال .. حسن عبدالرحمن .. عصام السعداوي .. طارق المهدي .. احمد شوقي .. احمدالله المدني .. مجدي اسماعيل .. احمد بركات .. محمد فرج .. واكرر تاني حبيبي احمد حسين .. واهداء للناس اللى بحب كل يوم اصحي اشوف البوست بتاعهم على الفيس بوك الجميل نبيل عبدالحميد .. سامح صبري .. عماد القاهري .. واهداء الى ابطال الجودو الذي تعلمت منهم الكثير بطل العالم كابتن هشام مصباح والكابتن اسلام الشهابي والكابتن سيدة السمادوني .. ومدربي الخاص الكابتن احمد المصري .

واهداء خاص للصديق والفنان الجميل اكرم حسني الذي جذب اليا الابتسامة والسعادة

..

كما اهدي كتابي لابطال مصر من اصدقائي من الشرطة والقوات المسلحة

..

كما اتوجه بخالص الشكر لدار ادباء للنشر والتوزيع واختص بالشركة الاستاذة منة عامر .

بسم الله نبدأ

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"

"الآية **30** سورة البقرة"

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الباحث

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

اعلم جيدًا أني لست خبيرا في الكتابة وصياغة الموضوعات، واعلم أيضًا أني لست عالم أو مفكر إسلامي! بل هو اجتهاد منى لمحاولة الإصلاح الأخلاقي، ومحاولة أردتُ بها خدمة ديننا ومنفعة لكل الأمة الإسلامية والبشر أجمعين، وأسأل الله أن ينفع بها وأن يجعله عملًا خالصا لوجهه الكريم.

كما أننى بدئت بهذا العمل بعد ما شاء الله سبحانه وتعالى أن أجلس فترة كبيرة بالبيت إثر حادث، وأدعو الله أن يشفيني ويشفي الناس أجمعين، وأتمنى من الله دعواتكم، وإذا أعجبكم الموضوع رجاء إبلاغي لاستكمال مسيرة الكتابة.

بعث الله أنبياء ورسل يحملون الرسالة والكتاب للبشرية ليرجعوا إلى ثوب الأخلاق، ولكن منهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من أفسد ومنهم من أصلح، حتى بعث الله خاتم المرسلين رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، ولكن استمرت الحياة على كوكب الأرض بعد انتهاء رسالة الأنبياء بين نقيضين "الخير والشر" حتى يوم قيام الساعة، لذلك يجب أن نعلم أن الساعة آتية يكاد يخفيها الله، ولكنها اقتربت جداً وقد انشق القمر.

هذا كتاب "يد الله في الأرض" يتناول موضوعات ومسائل من القرآن الكريم ومن الأحاديث التي أجمعت عليها الأمة والعلماء، وقد عرضت في يسر وسهولة وبسط واستيعاب لكثير ما يحتاج إليه المسلم وكذلك لغير المسلم، نحو الخلق الحسن والابتعاد عن الخلق السيء ليصبح إنسان غير مشارك في الفساد على الأرض في قول الملائكة لله عز وجل "قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"
(البقرة/30)

كيف علمت الملائكة أن ذرية آدم ستفسد في الأرض؟

" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ".

بداية الخلق:

إنّ كل ما في الكون من مخلوقات خلقها الله عز وجل لها بدايةٌ كما أنّ لها نهاية، وبداية الكون كلّه هي قصة بداية الخلق، فقبل أن يخلق الله تعالى المخلوقات على وجه الأرض كان وحده ولم يكن معه شيء، فقد خلق الله تعالى الكون والسماوات والجنة والنار وكل ما نعرف عنه وما لا نعرف، ولم يخلق تعالى فهو موجودٌ منذ الأزل، وبعد ذلك خلق الله تعالى الماء وجعل عرشه على الماء؛ فالماء هو أصل المخلوقات كلّها فكان خلقه قبل النور والظلام والفضاء والسماء والجنة والنار واللوح المحفوظ والعرش، وخلق الماء في البداية وجميع المخلوقات هو من العدم؛ فالخلق هو إيجاد الشيء من العدم بعكس ما يقوم به البشر، والذي بإمكاننا تسميته اختراع أو اكتشاف، فنحن نوجد الأشياء من أمور موجودة أصلًا وخلقها الله تعالى، خلق الله تعالى العرش من الماء، ثم القلم الأعلى واللوح المحفوظ؛ فجعل

الله تعالى القلم يتكلم فقال له اكتب ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة، فكل ما هو كائن وما كان وما سيكون مكتوب عند الله تعالى من قبل الخلق، وأمّا بعد ذلك خَلق الله تعالى السماوات والأرض وما فيها في ستة أيام، وهو القادر على أن يخلقها بكلمة واحدة كن فيكون، في قوله تعالى "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس– 82)، وبعدها خلق الله تعالى الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وأما آخر ما خلق الله تعالى فكان آدم عليه السلام، خَلَق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب، ثم صيره طينا، ثم صوره الله تعالى بيده، ونفخ فيه الروح، وفي وقتها كانت الأرض يسكنها الجن، فكفر بعضهم فنزلت الملائكة لتقاتلهم عما كانوا يفسدون ويسفكون الدماء ويقتلون بعضهم بعضا، فتسألت الملائكة عن خلق آدم في قوله تعالى:

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكَة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ"

وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام عند خلقه، فسجدوا جميعا إلّا إبليس الذي استكبر على آدم عليه السلام؛ لأنّه خلق من نار، فكانت هذه أول معصية يُعصى بها الله تعالى من الجن، والذي استكبر على ما خلق

الله تعالى، وهو عز وجل الذي رفعه وجعله مع الملائكة وهو ليس منهم؛ لأنه كان أكثر الجن إيماناً وتقربا من الله إلا أنه استكبر، فطرده الله تعالى من السماء، ومما كان عليه من المرتبة العظيمة، ولعنه إلى يوم الدين.

وأدخل الله تعالى آدم عليه السلام إلى الجنة، وخلق بعدها حواء إلى جانب آدم عليه السلام، والذي استوحش في الجنة لوحده، وعندما سألته الملائكة عن اسمها فأجابهم حواء؛ لأنّها خلقت من شيء حيٍّ وهو آدم عليه السلام، وجعل لهما كل ما في جنة حلالاً عدا الشجرة التي أمرهما بعدم الاقتراب منها، فأغواهما الشيطان الذي حذّرهما الله تعالى منه في قوله تعالى: "فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى" (طه – 117)، فأكلا من الشجرة ولذلك أنزلهما الله تعالى إلى الأرض.

إذاً الأرض دار العقاب الأول لبني آدم؛ لأن السكن الحقيقي لذورية بني آدم هي الجنة، ولكن هل ستكون من الذين تابوا وعملوا صالحا؟ ليكون مكسبهم الجنة في قوله تعالى: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" (البقرة – 25)، أم ستكون من الذين افسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء؟ فيخسرون الجنة، ويحشرون مع الشياطين في دار الشقاء والعذاب الثاني بنار جهنم والعياذ بالله في قوله

تعالى: "وَأَمَّا الذين فَسقُوا فمأْوَاهُم النَّار كُلمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرجُوا منْهَا أُعيدُوا فيهَا وَقيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عذَاب النَّار الذي كُنْتُم به تُكَذِّبُونَ". (السجدة – 20)

***

مظاهر تكريم الله للإنسان

أبرز شيء في خلق الإنسان أنه مكرم أعظم تكريم، فالإنسان في نظر جميع المخلوقات مخلوق متميز لأن الله فضله على كل المخلوقات، حين قال سبحانه وتعالى للملائكة: "اسجدوا لآدم" أي سجود تشريف وتكريم وتعظيم وليس سجود عبادة، كما قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلائكَة إنِّي خَالقٌ بشَرا مِّن صَلْصَال مِّنْ حمإ مَّسْنُون * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فيه من رُّوحي فَقَعُواْ لَهُ سَاجدين * فَسَجَدَ الْمَلائكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ * إلاَّ إبْليس أَبَى أَن يَكُونَ مع السَّاجدينَ". (الحجر : 31، 28)

كما أنَ الله سبحانه وتعالى كرمك فخلقك في أحسن تقويم: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْويمٍ ﴾. (سورة التين)، فانظر الآن إلى عينيك، انظر إلى حواسك الخمس، انظر إلى أعضائك، انظر إلى كمال خلقك وقدراتك! فهذا من تكريم الله لك في حين أنه يوجد بعض الناس يستخدمون أعينهم

في النظر بالحقد والتعالي ولمضايقة الناس، ومنهم من يستخدم يده للسرقة وضرب الضعفاء، ومنهم من يستخدم صوته للثب والقذف ورفع الصوت، ومنهم من يستخدم قدمه للمشي على الأرض متكبرا حيث قال سبحانه وتعالى: "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ" (ص 146) ، حيث إن بعض الناس الآن يستخدمون الكثير من نبرات الصوت العالية لترهيب الناس وتخويفهم أو لاستخدامه عند الخلافات كوسيلة الضعفاء لإخضاع الطرف الآخر، وهذا ما نلاحظه الآن في التعاملات اليومية وفي شوارعنا وفي المواصلات العامة، كما يقول المثل الشعبي "اغلبوهم بالصوت قبل ما يغلبوكوا"، وقد تنجح تلك الوسيلة بالفعل مع أُناس كثيرين، وقد يحصل المرأ على ما ابتغاه وأراده منهم باستخدام الصوت العالي، وفي أحيان كثيرة يزيد ذلك من حدة الخلاف، وقد يتطور الأمر للمشاجرة، وأغلب ما يحدث أن كثيرا من الناس تفسر هدوء الخصم على أنه ضعيف وغير قادر على المواجهة،كلا فإن استخدام الصوت العالي اثبات على إفلاس الحنكة والعقل، فلا يعرف سوى لغة العضلات، والحياة بالنسبة إليه جولة في حلبة مصارعة، وبركان لا يكاد يخمد حتى يثور من جديد، حتى يصبح هذا الإنسان منبوذ ضعف الشخصيه لا يمتلك وسيله أخرى، قال تعالى: " يَأَيُّهَا ٱلذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

ٱلنَّبِيِّ"، نزلت هذه الآية في "ثابت بن قيس بن شماس" كان جَهْوَرِيَّ الصَّوت، وكان إذا كلم إنسانًا جهر بصوته، فربما كان يَكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ولكن لا يدري هذا الإنسان أن الله سبحانه وتعالى شبه هذه الأصوات بصوت الحمير، ولكن أكثر الناس لا يتذكرون، كما أن الله جل جلاله كرمك فسخر لك ما في السماوات وما في الأرض، فهذا الكون مسخر لك من أجل أن تعرف الله من خلاله، وهذا الكون مسخر لك من أجل أن تنتفع به، فالإنسان استطاع لا بما عنده من قدرات، ولكن بتسخير الله لما في الأرض والسماوات للإنسان، فاستطاع أن يصل إلى أعماق الأرض، وأن يستخرج المعادن، وأن يصل إلى الفضاء، وأن ينتفع بكل ما في الأرض؛ لأن الله سخر هذا للإنسان، بل إن أصنافًا عديدةً من الحيوانات مسخرة لك وتحمد الله على وجودك؛ لأنه بدون الإنسان لا تستطيع بعض الحيوانات أن تعيش.

إن الطاقات الكونية كلها مهيأة، ومبذولة للإنسان لا يستعصي منها شيء عليه، وإن الإنسان هو واسطة العقد في هذا العالم، وإن صغر حجمه بالنسبة للمكان، وإن قصر عمره بالنسبة إلى الزمان، فلا يجوز لهذا الإنسان أن يؤله شيئًا في هذا العالم، أو أن يتعبد لشيء رغبا أو رهبا، والذين عبدوا

بعض ما في الكون قلبوا الحقائق، فحولوا الإنسان من سيد سخر الله له الكون إلى عبد ذليل يسجد لبشر مثله أو لنجم أو لشجرة أو لبقرة أو لحجر أو لغير ذلك، ومنهم من استخدم هذا التسخير من أجل الفساد والخراب والتدمير والظلم والغرور والتكبر والتعالي، ومنهم من يستخدم قدرة العقل الذي كرم الله بها الإنسان في سرقة وخداع الناس تحت اسم الفهلوة، ويعتقد الكثير أن الفهلوة وخداع الناس شطارة، وهي في الأصل فساد أخلاقي، سيعاقب عليها عقاب شديد، فالخداع من صفات المنافقين، وقد ورد ذكر الخداع في القرآن منسوبا إليهم وإلى الكفار في قوله تعالى: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وما يشْعرونَ * في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " (البقرة – 9).

مظاهر رحمة الله بالإنسان

أن الله جل جلاله فتح للإنسان أبواب التقرب إليه، وجعل آلاف الطرق إليه سالكةً كي نتودد إليه، فإن من أسماء الله الحسنى "الودود"، فقد تودد إلينا بنعم لا تعد ولا تحصى، وتودد إلينا بعلاقات ودية بين عباده، بين الزوج وزوجته، بين الأخ وأخيه، بين الأب والأم وأولادهم، وتودد إلينا بالتقرب

وقبول الدعاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.

إنَ الله سبحانه وتعالى جعلَ أكثر أسماءه الحَسنى رحمة ومودة، وجعل القليل منها في القوى والشدة، وهذا أكبر دليل على أن العلاقة بين الله وعباده علاقة ودٍّ وحب، وليست علاقة خوف كما يعتقد الجميع، حيث يعتقد بعض الناس أنه سيصلي ويذكر الله ويعبد الله خوفًا منه ومن عقابه، فهذا خطأ كبير، فإن الصلاة والعبادة والتقرب إلى الله علاقة حب وود، وليست علاقة خوف، فالعبادة هي أداء التواصل بين الله وعباده، على سبيل المثال ولله المثل الأعلى: (عندما تريد يوميا أن تتصل بالصديق كلما أردت أن تسمع صوته، فهل سيكون الاتصال خوفًا منه أم حبًّا له؟ وهل ستكون بداية الاتصال تحيات وابتسامات أم بكاء ورعب؟)، فهكذا هي علاقة الحب الكبيرة بين الله وعباده؟ في قوله تعالى: "قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ".

وإلَيكَم أسماَء الله الحَسنى لتعلموا كم هي مدىَ العلاقة بين العبد وربه:

الله: وهو الاسم الأعظم الذي تفرد به الحق سبحانه، وخص به نفسه وجعله أول أسمائه، وأضافها كلها إليه فهو علم على ذاته سبحانه.

الرحمن: كثير الرحمة وهو اسم مقصور على الله عز وجل، ولا يجوز أن يقال رحمن لغير الله، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين.

الرحيم: هو المنعم أبدًا، المتفضل دوما، فرحمته لا تنتهي.

الملك: هو الله، ملك الملوك، له الملك، وهو مالك يوم الدين، ومليك الخلق فهو المالك المطلق.

القدوس: هو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص وعن كل ما تحيط به العقول.

السلام: هو ناشر السلام بين الأنام، وهو الذي سلمت ذاته من النقص والعيب والفناء.

المؤمن: هو الذي سلم أوليائه من عذابه، والذي يصدق عباده ما وعدهم.

المهيمن: هو الرقيب الحافظ لكل شيء، القائم على خلقه بأعمالهم، وأرزاقهم وآجالهم، المسؤول عنهم بالرعاية والوقاية والصيانة.

العزيز: هو المنفرد بالعزة، الظاهر الذي لا يقهر، القوي الممتنع فلا يغلبه شيء وهو غالب كل شيء.

الجبار: هو الذي تنفذ مشيئته، ولا يخرج أحد عن تقديره، وهو القاهر لخلقه على ما أراد.

المتكبر: هو المتعالي عن صفات الخلق المنفرد بالعظمة والكبرياء.

الخالق: هو الفاطر المبدع لكل شيء، والمقدر له والموجد للأشياء من العدم، فهو خالق كل صانع وصنعته.

البارىء: هو الذي خلق الخلق بقدرته لا عن مثال سابق، القادر على إبراز ما قدره إلى الوجود.

المصور: هو الذي صور جميع الموجودات، ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة منفردة، يتميز بها على اختلافها وكثرتها.

الغفار: هو وحده الذي يغفر الذنوب ويستر العيوب في الدنيا والآخرة.

القهار: هو الغالب الذي قهر خلقه بسلطانه وقدرته، وصرفهم على ما أراد طوعًا وكرهًا، وخضع لجلاله كل شيء.

الوهّاب: هو المنعم على العباد، الذي يهب بغير عوض، ويعطي الحاجة بغير سؤال، كثير النعم، دائم العطاء.

الرزاق: هو الذي خلق الأرزاق، وأعطى كل الخلائق أرزاقها، ويمد كل كائن بما يحتاجه، ويحفظ عليه حياته ويصلحه.

الفتاح: هو الذي يفتح مغلق الأمور، ويسهل العسير، وبيده مفاتيح السماوات والأرض.

العليم: هو الذي يعلم تفاصيل الأمور، ودقائق الأشياء وخفايا الضمائر والنفوس، لا يغرب عن ملكه مثقال ذرة، فعلمه يحيط بجميع الأشياء.

القابض الباسط: هو الذي يقبض الرزق عمن يشاء من الخلق بعدله، والذي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده بجوده ورحمته، فهو سبحانه القابض الباسط.

الخافض الرافع: هو الذي يخفض الأذلال لكل من طغى وتجبر وخرج على شريعته وتمرد، وهو الذي يرفع عباده المؤمنين بالطاعات وهو رافع السماوات.

المعز المذل: هو الذي يهب القوة والغلبة والشدة لمن شاء فيعزه، وينزعها عمن يشاء فيذله.

السميع: هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير.

البصير: هو الذي يرى الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، وهو المحيط بكل شيء علما.

الحكم: هو الذي يفصل بين مخلوقاته بما شاء، ويفصل بين الحق والباطل لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

العدل: هو الذي حرم الظلم على نفسه، وجعله على عباده محرما، فهو المنزه عن الظلم والجور في أحكامه وأفعاله، الذي يعطي كل ذي حق حقه.

اللطيف: هو البر الرفيق بعباده، يرزق وييسر ويحسن إليهم، ويرفق بهم ويتفضل عليهم.

الخبير: هو العليم بدقائق الأمور، لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عن علمه شيء، فهو العالم بما كان ويكون.

الحليم: هو الصبور الذي يمهل ولا يهمل، ويستر الذنوب، ويؤخر العقوبة، فيرزق العاصي كما يرزق المطيع.

العظيم: هو الذي ليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية، وليس كمثله شيء.

الغفور: هو الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

الشكور: هو الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده مغفرته لهم.

العلي: هو الرفيع القدر فلا يحيط به وصف الواصفين المتعالي عن الأنداد والأضداد، فكل معاني العلو ثابتة له ذاتاً وقهرا وشأناً.

الكبير: هو العظيم الجليل ذو الكبرياء في صفاته وأفعاله، فلا يحتاج إلى شيء ولا يعجزه شيء "ليس كمثله شيء".

الحفيظ: هو الذي لا يغرب عن حفظه شيء ولو كانت كمثقال الذر، فحفظه لا يتبدل ولا يزول ولا يعتريه التبديل.

المقيت: هو المتكفل بإيصال أقوات الخلق إليهم، وهو الحفيظ والمقتدر والقدير والمقدر والممدد.

الحسيب: هو الكافي الذي منه كفاية العباد، وهو الذي عليه الاعتماد يكفي العباد بفضله.

الجليل: هو العظيم المطلق المتصف بجميع صفات الكمال والمنعوت بكمالها المنزه عن كل نقص.

الكريم: هو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم المطلق الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل المحمود بفعاله.

الرقيب: هو الرقيب الذي يراقب أحوال العباد ويعلم أقوالهم ويحصي أعمالهم، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء.

المجيب: هو الذي يجيب دعاء من دعاه، وسؤال من سأله، ويقابله بالعطاء والقبول، ولا يسأل أحد سواه.

الواسع: هو الذي وسع رزقه جميع خلقه، وسعت رحمته كل شيء المحيط بكل شيء.

الحكيم: هو المحق في تدبيره، اللطيف في تقديره، الخبير بحقائق الأمور، العليم بحكمه المقدور، فجميع خلقه وقضاه خير وحكمة وعدل.

الودود: هو المحب لعباده، والمحبوب في قلوب أوليائه.

المجيد: هو البالغ النهاية في المجد، الكثير الإحسان، الجزيل العطاء، العظيم البر.

الباعث: هو باعث الخلق يوم القيامة، وباعث رسله إلى العباد، وباعث المعونة إلى العبد.

الشهيد: هو الحاضر الذي لا يغيب عنه شيء، فهو المطلع على كل شيء مشاهد له عليم بتفاصيله.

الحق: هو الذي يحق الحق بكلماته، ويؤيد أولياءه، فهو المستحق للعبادة.

الوكيل: هو الكفيل بالخلق القائم بأمورهم فمن توكل عليه تولاه وكفاه، ومن استغنى به أغناه وأرضاه.

القوي: هو صاحب القدرة التامة البالغة الكمال غالب لا يغلب فقوته فوق كل قوة.

المتين: هو الشديد الذي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد ولا إلى معين.

الولي: هو المحب الناصر لمن أطاعه، ينصر أولياءه، ويقهر أعداءه، والمتولي الأمور الخلائق ويحفظهم.

الحميد: هو المستحق للحمد والثناء، الذي لا يحمد على مكروه سواه.

المحصي: هو الذي أحصى كل شيء بعلمه، فلا يفوته منها دقيق ولا جليل.

المبدىء: هو الذي أنشأ الأشياء، واخترعها ابتداء من غير سابق مثال.

المعيد: هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة.

المحيي: هو خالق الحياة ومعطيها لمن شاء، يحيي الخلق من العدم ثم يحييهم بعد الموت.

المميت: هو مقدر الموت على كل من أماته ولا مميت سواه، قهر عباده بالموت متى شاء وكيف شاء.

الحي: هو المتصف بالحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية، فهو الباقي أزلًا وأبدًا، وهو الحي الذي لا يموت.

القيوم: هو القائم بنفسه، الغني عن غيره، وهو القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم.

الواجد: هو الذي لا يعوزه شيء، ولا يعجزه شيء يجد كل ما يطلبه، ويدرك كل ما يريده.

الماجد: هو الذي له الكمال المتناهي والعز الباهي، له العز في الأوصاف والأفعال الذي يعامل العباد بالجود والرحمة.

الواحد: هو الفرد المتفرد في ذاته وصفائه وأفعاله، واحد في ملكه لا ينازعه أحد، لا شريك له سبحانه.

الصمد: هو المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، الذي يقصد إليه في الحوائج، فهو مقصد عباده في مهمات دينهم ودنياهم.

القادر: هو الذي يقدر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود على قدر ما تقتضي الحكمة، لا زائدًا عليه ولا ناقصا عنه.

المقتدر: هو الذي يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره.

المقدم: هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدمه.

المؤخر: هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها، المؤخر لمن شاء من الفجار والكفار وكل من يستحق التأخير.

الأول: هو الذي لم يسبقه في الوجود شيء فهو أول قبل الوجود.

الآخر: هو الباقي بعد فناء خلقه، البقاء الأبدي يفنى الكل وله البقاء وحده، فليس بعده شيء.

الظاهر: هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه، الظاهر وجوده لكثرة دلائله.

الباطن: هو العالم ببواطن الأمور وخفاياها، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

الوالي: هو المالك للأشياء المتصرف فيها بمشيئته وحكمته، ينفذ فيها أمره، ويجري عليها حكمه.

المتعالي: هو الذي جل عن إفك المفترين، وتنزه عن وساوس المتحيرين.

البر: هو العطوف على عباده ببره ولطفه، ومن على السائلين بحسن عطائه، وهو الصدق فيما وعد.

التواب: هو الذي يوفق عباده للتوبة، حتى يتوب عليهم، ويقبل توبتهم، فيقابل الدعاء بالعطاء، والتوبة بغفران الذنوب.

المنتقم: هو الذي يقسم ظهور الطغاة، ويشدد العقوبة على العصاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار.

العفو: هو الذي يترك المؤاخدة على الذنوب، ولا يذكرك بالعيوب، فهو يمحو السيئات ،ويتجاوز عن المعاصي.

الرؤوف: هو المتعطف على المذنبين بالتوبة، الذي جاد بلطفه ومن بتعطفه، يستر العيوب ثم يعفو عنها.

مالك الملك: هو المتصرف في ملكه كيف يشاء لا راد لحكمه، ولا معقب لأمره.

ذو الجلال والإكرام: هو المنفرد بصفات الجلال والكمال والعظمة، المختص بالإكرام والكرامة وهو أهل لأن يجل.

المقسط: هو العادل في حكمه، الذي ينتصف للمظلوم من الظالم، ثم يكمل عدله فيرضي الظالم بعد إرضاء المظلوم.

الجامع: هو الذي جمع الكمالات كلها، ذاتاً ووصفًا وفعلًا، الذي يجمع بين الخلائق المتماثلة والمتباينة، والذي يجمع الأولين والآخرين.

الغني: هو الذي لا يحتاج إلى شيء، وهو المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل من عاداه.

المغني: هو معطي الغنى لعباده، يغني من يشاء غناه، وهو الكافي لمن شاء من عباده.

المعطي المانع: هو الذي أعطى كل شيء، ويمنع العطاء عن من يشاء ابتلاء أو حماية.

الضار النافع: هو المقدر للضر على من أراد كيف أراد، والمقدر النفع والخير لمن أراد كيف أراد كل ذلك على مقتضى حكمته سبحانه.

النور: هو الهادي الرشيد الذي يرشد بهدايته من يشاء فيبين له الحق، ويلهمه اتباعه، الظاهر في ذاته، المظهر لغيره.

الهادي: هو المبين للخلق طريق الحق بكلامه يهدي القلوب إلى معرفته، والنفوس إلى طاعته.

البديع: هو الذي لا يماثله أحد في صفاته ولا في حكم من أحكامه، أو أمر من أموره، فهو المحدث الموجد على غير مثال.

الباقي: هو وحده له البقاء، الدائم الوجود الموصوف بالبقاء الأزلي، غير قابل للفناء فهو الباقي بلا انتهاء.

الوارث: هو الأبقى الدائم الذي يرث الخلائق بعد فناء الخلق، وهو يرث الأرض ومن عليها.

الرشيد: هو الذي أسعد من شاء بإرشاده، وأشقى من شاء بإبعاده، عظيم الحكمة بالغ الرشاد.

الصبور: هو الحليم الذي لا يعاجل العصاة بالنقمة، بل يعفوا ويؤخر، ولا يسرع بالفعل قبل أوانه.

بعد أن تعرفت على أسماء الله الحسنى، ومدى رحمة الله بالعباد، هل وجب عليك الآن أن تقدر عظمة الله، وتبدأ علاقة حب جديدة مع الرحمن؟

ماذا لو لم يكن هناك أنبياء؟

كما ذكرت في الجزء الأول من الكتاب أنه قبل خلق آدم عليه السلام، كان الجن يسكن الأرض، وكانت الأرض دار للهلاك والفساد وسفك للدماء، فتوقعت الملائكة بأن ذرية آدم ستكمل مسيرة الفساد على الأرض في قوله تعالى:

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً * قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ * قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ".

خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وأنشأها على أحسن حال، إلى أن سكن الجن الأرض فأفسد فيها وسفك الدماء إلى أن تدخّل فيها البشر أيضًا، فغيروا وبدّلوا وأفسدوا، وكانت أول قصة سفك دماء بشرية قتل "قابيل" أخيه "هابيل"، فإذا استمرت الأرض بلا أنبياء فستصبح أرضًا للجحيم، وفساد الأبدان بتعريضها للحرام والمفاسد وما يضرها؛ كشرب الخمور، وإفساد الأموال؛ بالغصب والسرقة والربا وأكل المال بالباطل، وإفساد البشرية؛ بنشر السحر والبدع والغلو والتشكيك وإفساد الأنساب بالإقدام على الزنا واللواط، فبحكمة الله سبحانه وتعالى انطلقت حركة النبوات فيها، ومضى رسل الله تعالى في مهمتهم الرسالية الكبرى لإصلاح الأرض بعد فسادها، فكانوا حربا على الفساد بكل أنواعه وأشكاله، وعملوا على نشر الفضيلة وقيم الخير في مواجهة الفساد والطغيان.

وكانت من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يختار الأنبياء بصفات لا بد للنبي أن يتحلّى بها، فلا يمكن لكل إنسان أن يصل إلى مقام النبوة، لأنّ هذا المقام لا يصل إليه إلّا من تتوفّر فيه بعض الشروط والصفات الخاصّة، منها:

الكمال العقلي، فلا بدّ وأن يكون النبي أكمل قومه عقلًا، والصفات اللازمة للتبليغ وهداية الناس وإرشادهم؛ كحسن التدبير والإدارة، والشجاعة والصبر والعصمة عن ارتكاب المعاصي؛ وذلك لأنّ الناس لا تثق بشخص يرتكب المعصية، فإنّ من يرتكب الذنب قد يكذب في بيان المعارف الإلهية، فيضل الناس ولا تتحقّق الهداية الّتي هي الغرض من بعثة النبي، كما أنّه لا يصلح أن يكون قدوةً لهم، والعصمة عن الخطأ والنسيان؛ لأنّ الإنسان الّذي يخطئ وينسى، يحتمل أن يقع ذلك منه في بيان المعارف الإلهية فلا يثق به الناس.

فإن قول الله تعالى مجيبا للملائكة عن هذا السؤال: "إني أعلم ما لا تعلمون" أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الإنسان وجعله بالأرض على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملون والخاشعون له والمحبون له والمتبعون رسله، وإن دور الأنبياء هداية الناس إلى السعادة الحقيقية، والكمال الإنساني، وهذه السعادة ترتبط بالدنيا والآخرة، ولذا كان إرشاد الناس إلى ما فيه كمالهم الروحي والمعنوي هدفًا من الأهداف، وكذلك إرشادهم إلى القوانين المنظّمة لحياتهم الدنيويّة، فإنّ الهدف من

خلق الإنسان؛ هو وصول الإنسان إلى كماله المنشود، والإنسان بمفرده عاجز عن الوصول إلى طريق كماله، لأنّه لا يملك الأدوات الكافية لذلك، فكان لابدّ للإنسان، من هداية تأتيه من السماء وترشده إلى ما فيه صلاحه وهداه، وطريق كماله.

ولذا وصف الله عز وجل الأنبياء بأنّهم مصطفون: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

***

للمطالعة

نماذج فاسدة ذكرت في القرآن

1- فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ 23.

2- قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ

الدُّنْيَا وَأَحْسن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْض إِنَّ اللَّهَ لَا يُحبُّ الْمُفْسدين ﴾ 24.

3- بنو إسرائيل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْض مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ 25.

4- قوم هود: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ *... الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ 27.

5- قوم صالح: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾28.

6- قوم شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ 29.

7- قوم لوط: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ 30.

8 – الملوك: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ 31.

9 –المنافقون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأرض قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ 32.

10–المسرفون: ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ الإمام علي عليه السلام: "إنّ من الفساد إضاعة الزاد" 33.

11– السحرة: ﴿فَلَمَّا جاء السَّحرةُ قَالَ لَهم مُّوسى أَلْقُواْ ما أَنتم مُّلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ 34.

12– السارق: ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأرض وما كُنَّا سَارِقِينَ﴾ 35.

13– التارك تزويج من يرضى خلقه ودينه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأرض وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾" 36.

كيف كان الحوار بين الأنبياء وربهم وأقوامهم؟

يعتبر لغة الحوار في القرآن الكريم درسا علميًّا وفلسفة مهمة لمنهج الحياة، فالله سبحانه وتعالى الحق المطلق والخير المطلق، حاور رمز الشر المطلق والباطل المطلق، والذي هو إبليس لعنه الله، وفي هذا الحوار درس مهم يبين لنا أن إمكانية الحوار قائمة حتى ولو كان هذا الحوار مع أشد الأعداء وأفظعهم قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ* قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ*﴾.

فأولَ من بدأ الحوار في إطار القرآن الكريم هم الملائكة عليهم السلام، وابتدأ هذا الحوار عندما أخبر الحق سبحانه وتعالى ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة

فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (2).

وحينما نقرأ القرآن نجد أنه كثيرا ما يورد لنا قصص الأنبياء ليخاطبنا الله عز وجل بها لنعتبر ونتعظ ونأخذ من سير الأنبياء عليهم السلام منهجا، فهم يمثلون قمة النجاح في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وقمة النجاح في استخدام الأسلوب المناسب مع أقوامهم، حينما تقرأ قصص القرآن نرى أنها لا تكاد تفتقد الحوار والجدل بين الأنبياء وأقوامهم، أي قصة من قصص الأنبياء، فكانوا يخاطبون أقوامهم، ويجادلونهم أفرادا وجماعات، ونقصد هنا حوار الأنبياء والرسل الذين كان الله يرسلهم لأقوامهم، سواء كان معهم كتاب سماوي أو بعض الصحف والألواح.

وقد جمع الله عز وجل بين المحاورة والرحمة في صفة أنبيائه "وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء:107)، "فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا" (الكهف:65)، "قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" (هود:28)، "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (آل عمران:159).

وقد ورد في القران الكريم بسورة مريم مدى الرقي والحب والحنان مع مريم في قوله تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)" (سورة مريم).

فهذه الحوارات مفعمة بالرحمة وروح الود واللطف والحنان؛ كما هو ظاهر في قوله عز وجل: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (سورة النحل : 125).

وقالَ العلامة السعدي في هذه الآية: (أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح "بِالْحِكْمَةِ" أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده).

ومن تأملَ القرآن وجد كلمة (يا قوم) جاءت عشرات المرات على لسان الأنبياء؛ جاءت في معرض بيان الحجة، وإزالة الشُبه من أذهان المدعوين إلى الله، فقد طبق الأنبياء مبدأ الحوار في حياتهم العملية خير تطبيق، فقد أمضوا مدة بعثتهم يحاورون المشركين والفاسدين بإثارة القضايا الإيمانية التي تتحدى جهلهم وآفاقهم الضيقة، وتدفعهم بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة إلى الشك والمناقشة، مستبعدين كل أنواع الضغط والإكراه والعنف لمواجهتهم، مسترشدين بالوحي وما انزل عليهم من الله، والذي نهى عن التعرض لهم بالسب والتجريح قال تعالى : "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم".

ومهتديًا بالوحي الذي يخاطبه بقوله تعالى: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم".

لقد واجه الأنبياء في دعوتهم تحديات عديدة من قبل الكفره، اختاروا لمواجهتها أسلوب اللاعنف وطريقة اللين، واعتبروا الحوار قاعدة أساسية في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى.

كما من تأمل سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه في مكة وهم كفار، ومع المنافقين في المدينة، وعلى رأسهم "عبد الله بن أبي سلول"، وكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يلاحقه بقوله: يا أبا الحباب! يا أبا الحباب! من تأمل ذلك وغيره من المواضع التي لا تحصى؛ علم الأصل جيدًا، وليس هذا مرتبطًا بمرحلة استضعاف ولا غيره، وإلا فقد تلطف مع خصومه في المدينة، وهي مرحلة قوة، كما تلطف معهم في مكة، بل تلطف مع اليهود في الرد وهم يسألون عن أوَّل أشراط الساعة؟ وما أولُ طعام يأكلهُ أهل الجنة؟ ومن أيِّ شيء ينَزعُ الولَدُ إلى أبيه؟ ومن أيِّ شيء ينَزِعُ إلى أخواله؟ حتى أَغلظَ له بعضهمً لما قال لَه النبيَ صلى الله علَيه وسلَم: «أَيَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ»، قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، ومع ذلك حدثه النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الجزء من الكتاب سأورد حوارات الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم، مع العلم بأنه لا يمكنني الإحاطة بجميع حوارات الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم؛ لأنه أمر صعب، ولذلك سأقتصر على ذكر بعض النماذج وهم: نوح، وشعيب، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وموسى عليهم السلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم، وقد يتساءل السائل فيقول لماذا هذه النماذج بالتحديد؟ فأقول كل نموذج من هذه النماذج اختير لسبب، فاختيار نوح عليه السلام سببه أن هذا النموذج درس في الصبر والتضحية في الدعوة إلى الله لطول حياته التي عاشها في محاورة نخبة فكرية معينة، وينبغي لكل محاور أن يتحلى بذلك، أما اختيار شعيب عليه السلام؛ فلأنه نموذج للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، وهذا النموذج يدل على أن مواضيع الحوار متنوعة، وأنها لا تقتصر على ماهو عقدي فقط، وأما اختيار صالح عليه السلام؛ فلأنه يمثل درسا في وجوب شكر النعمة لئلا تزول، والشكر هو قيدها كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وأما اختيار إبراهيم عليه السلام؛ فلأنه درس في الولاء والبراء قال تعالى:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

وَمَا أَمْلكُ لَكَ منَ الله منْ شَيْء رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصيرُ﴾، وأما اَختيار لَوطَ عليه اًلسلام؛ فلأن هذا النموذج يعلم الداعية إلى اَلله عز وجل أن يركز على أصول الأمراض الموجودة في مجتمعه وأن يعنى بعلاجها، ويبين السبيل الصحيح للتخلص منها، وأما اختيار موسى عليه السلام؛ فلأنه درس في القوة الإيمانية والقوة الحوارية، وهو نموذج حواري بين طرف قوي الإيمان ونموذج يملك القوة المادية، فهذا دليل على أن الدعوة إلى حوار الآخرين لا تتوقف على ندية القوة بقدر ما تستلزم قوة إيمانية، وأما اختيار رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلأنه خير خلق الله، والذي قال فيه سبحانه وتعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم كانت هذه إذن لمحة موجزة عن سبب اختيار الأنبياء.

الحوار بين عيسي –عليه السلام– وربه وقومه

من أعظم وأرقي وأجمل الحوارات التي تعبر عن مدي أخلاق الأنبياء في التحدث مع الله سبحانه وتعالى، والتي تعلم الناس كيف يكون الحوار بين الكبير والصغير، وكيف يكون الرقي والرد والاحترام بين الناس ولله المثل الأعلى، وإن ملخص حوار رب العالمين مع سيدنا عيسي علية السلام في ثلاث آيات من القران الكريم بسورة المائدة، سوف تفسرها بنفسك وتشعر

بجمالها في قولة تعالى: " وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)" (المائدة)

ما رأيك في هذا الحوار؟

الحوار بين نوح –عليه السلام– وربه وقومه

اصطفى الله تعالى نوحا عليه السلام، واختاره ليكون نبيًّا ورسولًا، وأوحى إليه أن يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، فاستجاب لدعوته عدد من الفقراء والضعفاء، أما

الأغنياء والأقوياء فقد رفضوا دعوته، كما أن زوجته وأحد أبنائه كفرا بالله ولم يؤمنا به، وظل الكفار يعاندونه قائلين: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

ولم ييأس نوح عليه السلام من عدم الاستجابة، بل ظل يحاور قومه وينصح لهم، ويبين لهم أن المقياس الثابت للتفاضل هو التقوى، ولذلك رفع نوح عليه السلام من شأن أصحابه المؤمنين الذين نُعتُوا بالخسَّة والدناءة، فقال للملأ الكافرين من قومه: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، فغضب قومه منه واتهموه بالضلال وقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

فأجابهم بأدب رفيع: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾..

ورغم محاولاته عليه السلام في تبيان الحق لقومه إلا أنه كان يجدهم أكثر عنادا وأشد كفرا، كلما دعاهم إلى الحق اتهموه بالكذب، ووصفوه بالجنون، قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾، وقال أيضا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ

جنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا به حَتَّى حينٍ﴾، ورغم كل هذا الأذى واصل نوح عليه السلام دَعوته لقومه صَابرا محتَسبا معتمدًا على ربه في نشر دعوته، يدعوهم بالليل والنهار، وينصحهم في السر والعلن ويشرح لهم برفق وهدوء حقيقة دعوته التي جاء بها، إلا أنهم أصروا على كفرهم، واستمروا في استكبارهم وطغيانهم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾، وقال أيضًا: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، وهكذا استمر نوح عليه السلام يدعو قومه يوما بعد يوم، وعاما بعد عام دون أن يزيد عدد المؤمنين، وكان إذا ذهب إلى بعضهم يدعوهم إلى التوحيد ويحدثهم عن الإيمان بالله يصدون عنه، قال تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾، وقال الكافرون له: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فقال لهم عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾..

ورغم حزنه عليه السلام لعدم استجابتهم وطلبهم للعذاب، لم ييأس وظل يدعوهم ومرت السنون دون أي نتيجة لحواراته معهم أو ثمرة لدعوته، فاتجه إلى ربه يدعوه ويشكو له ظلم قومه لأنفسهم، فأوحى الله إليه: ﴿أَنَّهُ لَنْ

يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، فلما آيس منهم بعدما ظل يدعوهم مدة ألف سنة إلى خمسين قال:

﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ودعا ربه، فقال: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، فأمره الله عز وجل أن يصنع السفينة، ولما أتم صنعها وعرف أن الطوفان سوف يبدأ، طلب من كل المؤمنين أن يركبوا السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين، وبدأ الطوفان فأمطرت السماء مطرا غزيرا، وتفجرت عيون الماء من الأرض فخرج الماء منها بقوة، فقال عليه السلام: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وما إن بدأت السفينة تطفوا على سطح الماء، ورأى نوح ابنه وكان كافرا لم يؤمن بالله، حتى انطلق الرسول والأب والداعية في المحاورة من جديد لعل ابنه يرجع إلى رشده: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، إلا أن الابن امتنع ورفض تلبية نداء أبيه، فقال مجيبا: ﴿ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، ظنا منه أن الماء لن يصل إلى رأس الجبل لعلوه، فقال له نوح عليه السلام: ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾، وفي ظل تلك الأجواء صدر الأمر الإلهي: ﴿وَقِيلَ يَا

أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فابتلعت الأرض الماء وتوقفت السماء عن المطر، ورستَ السفينَةَ على جبل يسمى الجودي، ثم أمر الله نوحا عليه السلام ومن معه من المؤمنين بالهبوط من السفينة، فقال سبحانه: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فشكر نوح عليه السلام ربه ثم ناشد في ولده، وسأله عن غرقه استفسارا واستخبارا عن الأمر، وقد وعده أن ينجيه وأهله فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، وكانَ ابن نوح من الكافرين فلَم يستحق رحمة الله، فامتثلَ نوح لأمرَ ربه وصبر لحكم ربه، وظل يدعوا المؤمنين، ويعلمهم أحكام الدين، ويكثر من الطاعات إلى أن توفي ولقي ربه.

الحوار بين شعيب –عليه السلام– وربه وقومه

كان يعيش على أرض مدين، وهم قوم يقطعون الطريق، ويَسْلبُونَ المارَّة من الناس أموالهم، ويعبدون شجرة كثيفةً تسمى الأيكة، وكانَوا يسيئون

معاملة الناس، ويغشُّون في البيع والشراء والمكيال والميزان، ويأخذون ما يزيد عن حقهم، فأرسل الله إليهم رجلًا منهم، وهو شعيب عليه السلام، دعاهم إلى عبادة الله وعدم الشرك به ونهاهم عن إتيان الأفعال الخبيثة، من نَقْصِ الناس أشياءهم، و سَلْبِ أموال القوافل التي تمر بديارهم، وكان شعيب عليه السلام يتعامل مع قومه بواقعية في الحوار يدعوهم إلى الحق ويبينه لهم، ومع ذلك لم يؤمن به إلا عدد قليل وكفر منهم الكثير، وعلى الرغم من هذا فإنه لم ييأس من عدم استجابته بل أخذ يدعوهم ويذكر لهم نعم الله التي لا تحصى، وينهاهم عن الغش في البيع والشراء، ولكن قومه لم يتقبلوا كلامه، ولم يؤمنوا به، بل قالوا له على سبيل الاستهزاء والتهكم: ﴿قَالُوا يا شُعَيب أَصَلَاتُكَ تَأْمرُكَ أَنْ نَترُكَ ما يعبُدُ آبَاؤُنَا أَو أَنْ نَفْعَل في أَموالنَا ما نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، فرد عليهم شعيب بعبارة لطيفة، يدعوهم فيها إلى الحق قال: ﴿يا قَوم أَرَأَيتُمْ إنْ كُنْتُ عَلَى بيِّنَة من ربِّي ورزَقَني منْهُ رزْقًا حَسنًا وما أُريدُ أَنْ أُخَالفَكُم إلَى ما أَنْهَاكُم عَنْهُ إنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ما اسْتَطَعْتُ وما توفيقي إِلَّا باللَّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وإِلَيْه أُنيبُ﴾..

هكذا كان نبي اللَّهَ شعيبَ قوي الحجة في دَعوته إلى قومه، ثم قال لهم ليخوفهم من عذاب الله: ﴿ويَا قَوْم لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شقَاقي أَنْ يُصيبَكُمْ مثْلُ ما أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْم هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وما قَوْمُ لُوطٍ منْكُمْ ببَعيدٍ﴾،

فأخذوا يهددونه ويتوعدونه بالقتل لولا أهله وعشيرته، قالوا: ﴿قَالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً ممَّا تَقُولُ وإنَّا لَنَراكَ فينا ضَعيفًا ولَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وما أَنْتَ عَلَيْنا بعَزِيزٍ﴾، فقال لهم: ﴿قَالَ يا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ منَ اللهِ واتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إنَّ ربِّي بما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، ثم أخذ يهددهم ويخوفهم من عذاب الله إن استمروا على طريق الضلال والعصيان، وعند ذلك خيَّره قومه بين أمرين: إما العودة إلى دين الآباء والأجداد، أو الخروج من البلاد مع الذين آمنوا معه، لكن شعيبا والذين آمنوا معه ظلوا ثابتين على إيمانهم وفوضوا أمرهم لله، فما كان من قومه إلا أن اتهموه بالسحر والكذب فقالوا: ﴿إنَّما أَنْتَ منَ الْمُسَحَّرِينَ * وما أَنْتَ إلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وإنْ نَظُنُّكَ لَمنَ الْكَاذِبِينَ﴾، وسخروا من توعده إياهم بالعذاب، واستعجلوا العذاب فقالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفًا منَ السَّماءِ إنْ كُنْتَ منَ الصَّادِقِينَ﴾، فدعا شعيب عليه السلام ربه قائلاً: ﴿ربَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنَا بالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، أي أحكم بيننا وبين قومنا بالعدل وأنت خير الحاكمين.

فطلَبَ الله سبحانه وتعالى من شعيب أن يخرج هو ومن آمن معه؛ لأن العذاب سينزل بأولئك المكذبين، فسلط الله على الكفار حرًّا شديدًا جفَّت منه الزروع والضروع والآبار، فخرج الناس يلتمسون النجاة، فإذا هم يرون سحابة سوداء، فظنوا أنها تحمل أمطار الرحمة فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ

مُمْطِرُنَا﴾، فتجمعوا تحتها حتى إذا أظلتهم أنزلت عليهم حمَمًا حارقة، ونيرانًا ملتهبة فأحرقتهم جميعا، واهتزت الأرض وأخذتهم صَيحة أزهقت أرواحهم قال تعالى في وصف ذلك: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾، فحولتهم إلى جثث هامدة لا حراك فيها ولا حياة، ونجَّا الله شعيبا ومن معه من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

***

الحوار بين صالح –عليه السلام– وربه وقومه

في منطقة الحجر كانت تعيش قبيلة مشهورة تسمى ثمود، يرجع أصلها إلى سام بن نوح، وكانت لأولئك القوم حضارة عمرانية واضحة المعالم، فقد نحتوا الجبال واتخذوها بيوتًا، يسكنون فيها شتاء، وتحميهم من الأمطار والعواصف التي تأتي إليهم من حين إلى آخر، واتخذوا من السهول قصورا يقيمون فيها صيفًا قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا

فَاذْكُروا آَلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا في الأرض مُفْسدينَ﴾، وأنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فأعطاهم الأرض الخصب والماء العذب الغزير، والحدائق والنخيل، والزروع والثمار، لكنهم قابلوا النعمة بالجحود والنكران، فكفروا بالله سبحانه وتعالى ولم يشكروه على نعمه، فعبدوا الأصنام وجعلوها شريكةً له يقدمون إليها القرابين، ويذبحون لها الذبائح تضرعا لها، وأراد الله سبحانه وتعالى هدايتهم، فأرسل إليهم نبيًّا منهم وهو صالح عليه السلام، يدعوهم بالحكمة ويحاورهم بالحسنى ليعبدوا الله وحده لا شريك له ويتركوا ما هم فيه من عبادة الأصنام، فكان الحوار كالآتي،قال عليه السلام: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، فرفض قومه ذلك وقالوا: ﴿يا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾..

يقولون له يا صالح قد كنت بيننا رجلًا فاضلًا كريما محبوبا نستشيرك في جميع أمورنا لعلمك وصدقك، فماذا حدث لك، ثم يتهمونه في خبث ولؤم بالجنون وعدم رجاحة عقله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾، ورغم هذه الإتهمات كلها التي وجهت لنبي الله صالح عليه السلام لم يقابل إساءتهم بإساءة مثلها، ولم ييأس من عدم استجابتهم له، بل ظل يتمسك بدين الله رغم كلامهم،و يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويذكرهم بما حدث للأمم

السابقة وما حل بها من العذاب جزاء كفرهم وعنادهم وأخذ يذكرهم بنعم الله عليهم قائلا: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾، ودعاهم إلى الاستغفار والتوبة إلى الله فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾، فآمنت طائفة به وهم من الفقراء والمساكين، وكفرت به طائفة وهم الأغنياء الذين استكبروا وكذبوا دعوته قائلين: ﴿أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾، وحاولت الطائفة الكافرة ذات يوم أن تصرف الذين آمنوا بصالح عن دينهم وتجعلهم يشكون في رسالته فقالوا لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي هل تأكدتم أنه مرسل من الله؟ فأعلنت الطائفة المؤمنة تمسكها بما أنزل على صالح، وبما جاء به من ربه، وقالوا: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، فقال لهم الذين كفروا: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

وعندما رأى صالح إصرارهم على الضلال والكفر قال: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، وكان صالح عليه السلام يخاطب قومه بأخلاق الداعي وآدابه الرفيعة فيدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة تارة، ويجادلهم

تارة أخرى، مؤكدًا على أن عبادة الله هي الحق والطريق المستقيم، لكن قومه تمادوا في كفرهم وأخذوا يدبرون له المكايد والحيل حتى لا يؤمن به أكثر الناس، فبينما هو في حوار مستمر قصد بيان نعم الله الكثيرة ووجوب شكر المنعم وحمده عليها، ما زالوا يتحدونه عليه السلام أن يأتيهم بمعجزة أو آية تثبت صحة رسالته، فسألهم عن المعجزة التي يريدونها، فأشاروا على صخرة بجوارهم وقالوا له أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة طويلة عَشَراء، وأخذوا يصفون الناقة المطلوبة ويعددون صفاتها بغية إعجازه، فقال لهم صالح أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم أتؤمنون بي وتصدقونني وتعبدون الله الذي خلقكم؟ فقالوا نعم وعاهدوه على ذلك.

فقام عليه السلام وصلى لله سبحانه وتعالى ثم دعا ربه أن يجيبهم إلى ما طلبوا، وما هي إلا لحظات حتى تحققت المعجزة فآمن بعضهم واستمر أكثرهم على الكفر والضلال، ثم أوحى الله إلى صالح أن يأمر قومه بأن لا يتعرضوا للناقة بسوء: ﴿هَذه نَاقَةُ الله لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ في أَرْضِ الله وَلَا تَمَسُّوهَا بسُوء فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَليمٌ﴾، استمر الحال عَلى هذا وقتاَ طويلاً، والناقة تَشرَب ماء البئر يوما وهمَ يشربون يوما قال تعالى: ﴿قَالَ هَذه نَاقَةٌ لَهَا شرْبٌ وَلَكُمْ شرْبُ يَوْم مَعْلُوم﴾، وكانت في اليوم الذي تشرب ولَاَ يشربون يَحلبونها فتعطيَهم لبناً يكفيهَم جميعا، لكن الشيطان أغواهم، فزين

لهم طريق الشر فتجاهلوا تحذير صالح لهم واتفقوا على قتل الناقة قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، فعقروا الناقة وخالفوا أمر نبيهم، وسخروا منه واستهزؤوا به، فأوحى الله إليه أن العذاب سيلحقهم جزاء فعلتهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، قال صالح لقومه: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾، ومرت الأيام الثلاثة وخرج الكافرون صباح اليوم الثالث ينتظرون ما سيحل عليهم من العذاب وفي لحظات جاءتهم صيحة شديدة من السماء وهزة عنيفة من الأرض فزهقت أرواحهم، وأصبحوا في دارهم مهلكين قال الحق سبحانه: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، وبعد أن أهلكَ الله الكافرين من ثمود، وقف صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين ينظرون إليهم، فقال صالح عليهم السلام: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

***

الحوار بين إبراهيم –عليه السلام– وربه وقومه

كانت ولادة إبراهيم عليه السلام في عهد النمرود بن كنعان، وكان حاكما مستبدًّا جبارا، استغل جهل قومه فنصَّب نفسه إلهًا لهم، ودعا الناس إلى عبادته فأطاعوه، وفي ظل هذه الأجواء ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام فوجد أباه غارقًا في براثن الشرك حاله من حال قومه،قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

أولًا:دعوته لأبيه:

وقد صورتها أبلغ تصوير آيات سورة مريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا *يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ

لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾.

لقد كانت كلمات إبراهيم تفيض حنانًا وشفقة وتتدفق عطفًا ورقة، إذ بين لأبيه أن ما يعبده فاقد لأوصاف الربوبية من السمع والبصر فضلًا عن الخلق فكيف يضر أو ينفع؟ ثم أردف ذلك ببيان ما قد أوتي من علم وحكمة، وأن دعوته قد بُنيت عليهما ففي إتباعه سلوك الصراط السوي، ثم حذره من عدو البشرية الذي تلبَّس بمعصية الرحمن، فهو جدير بأن يتَّخذَ عدوًّا وألا يطاع، ثم أعلمه بشدة خوفه عليه من أن يمسه عذاب من الرحمن فيكون وليًّا للشيطان، وأمام هذه الدعوة الحانية الرفيقة المتزنة نسمع عبارات الأب الفجَّة الغليظة التي تمثل صورة التقليد الأعمى وإغلاق القلب عن النظر والتأمل، ومع ذلك كله فإن الابن البار لم يواجه تلك السيئة إلا بالتي هي أحسن فقال لأبيه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾، كحال عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا: ﴿سلامًا﴾.

بل وعد بالاستغفار لأبيه، وذلك قبل أن يتبين له أنه عدو لله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾، ثم قرر اعتزاله ليراجع الأب نفسه، ولينأى إبراهيم بنفسه عن الشر ومواطنه، وكانت رحمة الله لإبراهيم أن عوضه بأبناء صالحين بررة.

ثانيًّا: دعوته لقومه:

بعد أن دعا إبراهيم أباه لقربه توجه بالدعوة إلى قومه، وكانوا فيما قبل قسمان؛ منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الكواكب، وقيل: إنهم كانوا يعبدون الكواكب ويصورون أصناما على صورها يعبدونها، وقد أبطَل عليه السلام كلاَ المعبودَين بالأدلة القطعية، وبيَّن لهم أنها لا تملك لهم رزقًا، ثم أخبرهم بأَنه مُبلّغٌ لا يستطيع هدايتهم إلا بإذن الله، ولفت أنظارهم إلى أن مصيرهم إن لم يستجيبوا للدعوة مصير أمثالهم فقد سبقهم على ذلك أمم ولحقهم من ربهم من النكال والعذاب ما لا يخفي عليهم، قال تعالى:

﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

ولقد سلك إبراهيم في إقناع قومه مسلك المساءلة عن جدوى أصنامهم، هل تنفع أو تضر أو تسمع الدعاء، فما وجد إلا الإصرار على التبعية العمياء، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا

تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

فما كان من إبراهيم إلا أن أعلن البراءة مما هم عليه، وأوضح سبب ذلك وسبب قصره العبادة على الله: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ... الآيات﴾، وبدأ القوم يراوغون فيما عرضه عليهم إبراهيم فما كان من إبراهيم إلا أن أعلن النَّكير، وبيان الحق فعلًا لا قولًا فحسب، ودخل بهذا مرحلة خطرة من مراحل إقناع القوم بعدم جدوى أصنامهم، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، لم يكتف القوم بهذه المراوغة مع إبراهيم بل دعوه للخروج معهم إلى عيد من أعيادهم لكنه اعتذر عن الخروج قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

وقال عند ذلك: ﴿وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾، فسمعها بعض القوم، وبادر إبراهيم: ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون * قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم * قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾، لقد ورّطهم إبراهيم في هذه الإجابة وهذا ما كان يريده ليندفع بكل قوة مخاطبا عقولهم إن كانت لهم عقول: ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم * أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾، وهنا لم يجد القوم بدًّا من تدبير المؤامرة عليه والتخلص منه.

﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم * وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾.

ثالثا: دعوته للملك:

حين ناظره في ربه وذلك فيما حكاه الله تعالى عنهم في سورة البقرة فقال: ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم:... ﴾

فخصوم الدعوة ملاحقَةُ الداعية وإحراجه أمام الناس خصوصا وأن إبراهيم بعد نجاته من النار بمعجزة التفتت إليه الأنظار، وتعجَّب الناس من ربه الذي نجَّاه، فبادر الملك إلى مناظرته ليوقعه في الحرج ظنًّا منه أن إبراهيم قد ينهزِم في المناظرة، وما علم أنه مؤَيَّدٌ من عند الله وهو سيد المناظرين، والمجادل عن حوزة التوحيد وحمى الملة بكل ألوان الجدل، فلقد جادل الملكُ إبراهيمَ في ربِّه، فطلب منه أن يقيم له الدليل على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال إبراهَيم: ربي الذي يحيي ويميت أي أن الدليل على وجوده هو هذه المعجزة المتكررة الظاهرة؛ معجزة الحياة والموت، عندئذ قال الملك أنا أحيي وأميت، فأمر برجُلَينِ استحقًا القتل فأمضيه في أحدهما دون الآخر، وقال قد أحييت الثاني، وأمتُّ الأول، وهذه مكابرة صريحة، وعناد ظاهر، يعلمه كل ذي عقل، ولذلك ترك إبراهيم الخوض معه في مكابرته، وجاءه بواقعة أكبر لا يستطيع معها التحايل، فقال: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب أي إذا كنت قادرا على الإحياء والإماتـة، وهما من صفات الرب، فيلزم أن يكون بمقدورك التصرف في الكون، وأن تأتي بالشمـس من المغرب، عندئذ بهت الذي كفر.

فانتقال إبراهيم من دليل إلى آخر دون مناقشة لإجابة الملك الساذجة ليس عن هزيمة؛ لأن حجته كانت قائمة، إذ إبراهيم وكل عاقل يعلم أن المراد حقيقة الإحياء والإماتة، أما ما فعله الملك فأمر يقدر عليه كل أحد، حتى إبراهيم كان يمكن أن يقول له: إني أردت حقيقة الإحياء والإماتة، أما هذا فأنا أفعل مثله، ولكن إن قدرت على الإماتة والإحياء فأمت هذا الذي أطلقته من غير استخدام آلة وسبب، وأحي هذا الذي قتلته، فيظهر به بهت اللعين، إلا أن القوم لما كانوا أصحاب ظواهر، وكانوا لا يتأملون في حقائق المعاني خاف إبراهيم الاشتباه والالتباس عليهم، فضم إلى الحجَّة الأولى حجَّةً ظاهرة، لا يكاد يقع فيها أدنى اشتباه، وهذا الانتقال من أحسن ما يكون، لأن المحاجَ إذا تكلم بكلام يشق على سامعيه فهمه، ولجأ الخصم إلى الخداع والتلبيس جاز له أن يتحول إلى كلام يدركه السامعون، وأن يأتي بأوضح مما جاء به، ليثبت ما يريد إثباته، وهذا لأن الحجج مثل الأنوار، وضم حجة إلى حجة كضم سراج إلى سراج، وهذا لا يكون إلا دليلًا على ضعف أحدهما أو بطلان أثره".

وفي ظل هذا التعنت في قبول الدعوة وعدم الإيمان بما جاءهم به من الحق، قرر إبراهيم عليه السلام الهجرة إلى أرض غير أرضه، تقبل كلمته وتؤمنُ بدعوته، قال تعالى: ﴿ومَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأرض

مُرَاغَماً كَثيراً وسَعَةً﴾، فهاجر عليه السلام وأخذ ينتقل من مكان إلى مكان آخر يدعو الناس إلى عبادة الله وإلى طريقه المستقيم، قال تعالى عنه مادحا له ومثنيًّا عليه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وَقد فضَّل الله إبراهيم عليه السلام في الدنيا وفي الآخرة، فَجعل النبوة فيه وفي ذريته إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ووهبنا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وإبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرسل، ووصى الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يسير على ملته قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال كذلك: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وظل إبراهيم عليه السلام يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ويدعو الناس إلى عبادته إلى أن لقي ربه.

الحوار بين لوط –عليه السلام– وربه وقومه

هاجر لوط مع إبراهيم عليه السلام إلى مصر ومكث فيها مدة من الزمن ثم عادا إلى فلسطين، وفي الطريق استأذن لوط إبراهيم ليذهب إلى أرض سدوم حيث اختار الله لوطًا ليكون نبيًّا إلى أهل هذه الأرض، فأذن له إبراهيم وذهب لوط إلى سدوم وتزوج هناك.

وكانت أخلاق أهل تلك البلدة سيئة، فكانوا لا يتعففون عن فعل المعصية، ولا يستحيون من المنكر، ويخونون الرفيق، ويقطعون الطريق وفوق هذا كله كانوا يفعلون فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين، إذ كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وأخذ لوط عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان وترك الفاحشة، قائلًا: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾، لكنهم لم يستجيبوا لدعوته، وتكبروا عليه، وسخروا منه، ومع ذلك لم يقطع حواره معهم بل ظل صابرا على قومه يدعوهم بكل حكمة وموعظة حسنة وأدب جم إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، وينهاهم ويحذرهم من إتيان المحرمات واقتراف الفواحش وفعل المنكرات، لكنهم

قالوا له بكل تبجح وقسوة وسخرية: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

ولَم يكتفوا بذلك بل هددوه بالطرد من القرية لأنه كان غريبا في قومه، فغضب لوط من قومه وابتعد عنهم هو ومن آمن به من أهل بيته إلا زوجته، التي كفرت دعوته وانحازت إلى قومها ووشاركتهم في مضايقته والاستهزاء به، وضرب الله بها مثلا في الكفر فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾

إذ خانت لوطًا عَليه السلاَم فكفرَت ولم تؤمن بالله، ثم أرسل اللهَ ثَلاثة من الملائكة على صورة ثلاثة رجال هيئتهم حسنة، فمرُّوا على إبراهيم فظن أنهم بشر فقام على الفور وذبح لهم عجلًا سمينًا لكنهم لم يأكلوا منه، و بشَّرت الملائكة إبراهيم بأن الله سبحانه سوف يرزقه ولدًا من زوجته سارة، ثم أخبرَته الملائكة أنهم ذاهبون إلى قرية سدوم لتعذيب أهلها وعقابهم على كفرهم ومعاصيهم، فأخبرهم إبراهيم بوجود لوط في هذه القرية، فطمأنته الملائكة بأن الله سينجيه وأهله إلا زوجته لأنها كفرت بالله، وخرجت الملائكة من عند إبراهيم متوجهين إلى القرية، فعندما وصلوا إلى بيت لوط

وكانوا في صورة شُبَّان حسَان، وعندما رآهم لوط خاف عليهم ولم يُعْلم أحدًا بقدومهم لكن امرأتهَ علمَت بقدومهم فخرجت وأخبرت قومه وقالت: إن في بيت لوط رجالًا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاء القوم بسرعة إلى بيت لوط يبغون الفاحشة مع هؤلاء الضيوف، واجتمع قوم لوط وازدحموا عند باب بيته وهم ينادون بصوت عال أن يخرج لهم هؤلاء الضيوف، وكل منهم يمني نفسه بالمتعة والشهوة الحرام مع هؤلاء الرجال، فمنعهم لوط من دخول البيت ومن الهجوم والاعتداء على ضيوفه، فقال لهم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾، وأخذ يُذكّرهم بأن الله خلق النساء فهن أزكى لهمَ وأطيَب، ولكن قوم لَوط أصروا على الدخول، ولم يجد لوطًا من بينهم رجلًا عاقلًا يبين لهم ما هم فيه من الخطأ فقال: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، عندئذ كشف الضيوف عن حقيقتهمَ، وأخبروا لوطًا بأنهم ليسوا بشراً وإنما هم ملائكة من السماء جاءوا لتعذيب هؤلاء القوم الفاسقين، وما هي إلا لحظات حتى اقتحم قوم لوط البيت على الملائكة، فأشار أحد الملائكة بيده ناحيتهم ففقد القوم أبصارهم وراحوا يتخبطون بين الجدران، ثم طلبت الملائكة من لوط أن يرحل مع أهله عندما يقبل الليل، لأن العذاب سينزل على قومه في الصبح، ونصحوه ألا يلتفت هو ولا أحد من أهله خلفهم عندما ينزل العذاب حتى لا يصيبهم، وفي الليل خرج لوط

وابنتاه وتركوا القرية وما إن غادروها حتى انشق الصباح، فأرسل الله العذاب الشديد على القرية فاهتزت القرية هزة عنيفة وتزلزلت الأرض، واقتلع ملك بطرف جناحه القرية بما فيها وارتفع بها حتى سمع أهل السماء نباح كلابها، ثم انقلبت القرية رأسا على عقب، وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم من السماء حجارة ملتهبة تحرقهم، وأحاط بهم دخانًا خانقًا يشوي وجوههم وأجسامهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

و نجَّا الله لوطًا ومن آمن معه برحمة منه سبحانه، لأنهم حفظوا العهد، وشكروا النعمة وعبدوا الله وحده ،كانوا خير مثال للعفَّة والطهارة، وأصبحت قرية سدوم عبرة وعظة لكل الأجيال القادمة، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

***

الحوار بين موسى –عليه السلام– وربه وقومه

كان يعيش في مصر ملك جبار طاغية يعرف بفرعون استعبد قومه وطغى عليه وقسم رعيته إلى عدة أقسام، استضعف طائفة منهم، وأخذ في ظلمه واستخدامه في أخس الأعمال شرفًا ومكانة، وهؤلاء هم بنو إسرائيل الذين يرجع نسبهم إلى نبي الله يعقوب عليه السلام وقد دخلوا مصر عندما كان سيدنا يوسف–عليه السلام–وزيرا عليها، وفي أحد الأيام حدث أن فرعون كان نائما فرأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس فأحرقت مصر جميعها إلا بيوت بني إسرائيل، فلما استيقظ خاف وفزع من هذه الرؤيا فاستدعى كهنته وسحرته وسألهم عن تلك الرؤيا، فأخبروه أن غلاما سيولد في بني إسرائيل يكون سببا لهلاك أهل مصر، ففزع فرعون من هذه الرؤيا العجيبة وأمر بقتل كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل، خوفًا من أن يولد هذا الغلام، ومرت السنوات ورأى أهل مصر أن بني إسرائيل قل عددهم بسبب قتل الذكور الصغار، فخافوا أن يموت الكبار مع قتل الصغار فلا يجدون من يعمل في أراضيهم، فذهبوا إلى فرعون وأخبروه بذلك، ففكر فرعون ثم أمر بقتل الذكور عاما وتركهم عاما آخر.

فولد هارون في العام الذي لا يقتل فيه الأطفال، أما موسى عليه السلام فقد ولد في عام القتل، فخافت أمه عليه، وقررت أن تضعه في مكان بعيد عن أعين جنود فرعون الذين يتربصون من كل مولود لبني إسرائيل لقتله، فأوحى الله إليها أن ترضعه وتضعه في صندوق، ثم ترمي هذا الصندوق في نهر النيل إذا جاء الجنود، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

فَفعلتَ ذلك فقَدر الله–سبحانه وتعالى–أن يتربى هذا الطفل في أحضان الرجل الذي كان يريد أن يقتله خوفًا منه على ملكه، وبينما موسى عليه السلام يسير بأهله تجاه مصر راجعا من مدين حتى حل عليهم الظلام فجلسوا يستريحون من أثر هذا السفر، على أن يكملوا المسير بعد ذلك في الصباح، وكان الجو شديد البرودة فأخذ موسى يبحث عن شيء يستدفئون عليه فرأى نارا من بعيد فطلب من أهله الانتظار، حتى يذهب إلى مكان النار ويأتي منها بشيء يستدفئون به، توجه موسى يحمل عصاه ناحية النار التي شاهدها ولما وصل إليها سمع نداء يقول: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

* إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾، ثم سأله الله عز وجل عما يحمله في يمينه قال موسى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى﴾، فأمره الله عز وجل أن يلقي هذه العصا، فألقاها فانقلبت وتحولت إلى ثعبان كبير ففزع موسى من الأمر، فأمره الله عز وجل أن يعود ولا يخاف، وسوف تعود العصا كما كانت أول مرة، وكان موسى أسمر اللون فأمره الله عز وجل أن يدخل يده في ثيابه، ثم يخرجها، فخرجت بيضاء ناصعة البياض، فكانت هاتان المعجزتان من الله لنبيه موسى كإعداد واستعداد لمقابلة فرعون وملائه، فلما ذهب موسى مع أخيه هارون إلى فرعون قاما بدعوته إلى الله، وإخراج بني إسرائيل معهم، لكن فرعون استهزأ بهما وسخر منهما ومما جاء به، وذكر موسى بأنه هو الذي ربَّاه في قصره وظل يرعاه حتى قتل الرجل القبطي وفرَّ هاربا، فأخبره موسى أن الله قد هداه وجعله نبيًّا لكي يدعوه إلى عبادة الله وطاعته لكن فرعون لم يستجب له، فأراد موسى أن يسلك مسلكًا آخر معه في الحوار فعرض عليه أن يأتيه بدليل يبين له صدق رسالته، فطلب فرعون منه الدليل إن كان صادقًا فألقى موسى عصاه فتحولت إلى حية كبيرة، فخاف الناس وفزعوا من هذا الثعبان،

فمد موسى يده إليها وأخذها فعادت عصا كما كانت، ثم أدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين.

لكن فرعون أعلن في قومه أن موسى ساحر، فأشار عليه القوم أن يجمع السحرة من كل مكان لمواجهة موسى وسحره، على أن يكون هذا الاجتماع يوم الزينة، وكان هذا اليوم يوم عيد فرعون وقومه، حيث يجتمع الناس جميعا، في مكان فسيح أمام قصر فرعون للاحتفال، فسارع فرعون في إعلان الموعد لجميع الناس، ليشهدوا هذا اليوم الذي سيناظر فيه موسى سحرة فرعون، فتسابق الناس إلى ساحة المناظرة فرفع فرعون يده إيذاناً ببدء المناظرة، وعرض السحرة على موسى أحد أمرين، إما أن يلقي عصاه أولاً أو أن يلقوا عصيهم فترك لهم موسى البداية، فألقوا حبالهم وعصيهم فسحروا أعين الناس، وتحولت جميع الحبال والعصي إلى حيات تتحرك أمام أعين الحاضرين، فخاف الناس مما يرونه أمامهم، حتى موسى وهارون عليهما السلام هالهما هذا الأمر، فأوحى الله لموسى أن لا يخف لكي يطمئن: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، فألقي عصاه فإذا بها تحولت إلى حيةً عظيمة تبتلع حبالَ السحرة وعصيهم، ولما رأى السحرة

ذلك علموا أنها معجزة من معجزات الله، وليست سحرا فسجدوا لله معلنين إيمانهم برب موسى وهارون قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

و هنا اشتد غيظ فرعون وأخذ يهدد السحرة بقوله: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾، لكنَّ السحرة لم يخافوا من كلامه وتهديداته فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾

فَغضبَ فرعون وأصدَرَ أوامره بقتلَ أبناء الذين آمنوا بموسى وترك نسائهم، فتسلل الخوف إلى قلوب الضعفاء منهم فلم يؤمنوا بهم خوفًا من فرعون وبطشه، ولما رأى موسى ما أصاب قومه من خوف وهلع توجه إلى الله بالدعاء أن ينجيه والمؤمنين معه من كيد فرعون.

وذات يوم جمع فرعون أعوانه وعشيرته وأعلن لهم نيته قتل موسى عليه السلام وما إن انتهى من كلامه حتى قال رجل من قومه وعشيرته كان قد آمن بموسى سرًّا: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، لكن فرعون أعرض ولم يستمع إلى نصيحته، واستمر في تعذيب بني إسرائيل وتسخيرهم في العمل، فنزل بفرعون وقومه أنواع من البلاء، فغشيهم الطوفان فأغرق زروعهم وديارهم، وأكل الجراد ما بقي من زروعهم وأشجارهم، ومرت الأيام والبلايا تزداد يوما بعد يوم فذهب المصريون إلى فرعون يشيرون عليه أن يطلق سراح بني إسرائيل مقابل أن يدعو موسى ربه أن يكشف ذلك الضر عنهم، ويشفع لهم عند ربه فدعا موسى ربه وانكشف عنهم العذاب والبلاء، لكن فرعون زاد في عناده وكفره وتمادى في غيِّه وجحوده، وكذب بكل الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، فأيقن موسى أن النقاش والحوار مع فرعون لن يجدي نفعا، فدعا الله أن يخلص بني إسرائيل من يد فرعون وجنوده وأن يعذب الكفار بالعذاب المهين.

بداية ونهاية الأقوام

كما قرأنا في الجزء السابق أن أكثر أقوام الأنبياء هلكوا من بعد العناد والتكذيب وسوء الأخلاق مع الأنبياء، ثم بدأ الأنبياء بالشكوى والدعاء بالنجاة للمتقين والهلاك للمشركين ثم بدأ تنفيذ أمر الله، في قوله تعالى:

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْه الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا به الأرض وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 40]

مقدمات الهلاك:

إبلاغ، إقناع، تحذير، عناد وتكذيب المهلكين، شكوى ودعاء الرسول، علم الرسول بحتمية النجاة والهلاك، العاقبة للمتقين.

هلاك قوم نوح:

وسيلة الهلاك: الغرق بالطوفان

إبلاغ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمه إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [هود: 25]، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمه فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا

تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: 23]، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 106]،

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 14]، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 106].

إقنع:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: 59]،

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِه يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ [يونس: 71]،

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح: 1].

عناد وتكذيب المهلكين:

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 105]،

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: 116]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ [ص: 12]

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: 5]

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: 31]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ [ق: 12]

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الذاريات: 46]

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾ [النجم: 52]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ [القمر: 9].

شكوى ودعاء الرسول:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح: 21]

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: 26].

علم الرسول بحتمية النجاة والهلاك:

﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: 36]

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: 48]

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء: 76]

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفرقان: 37].

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: 75].

العاقبة للمتقين:

﴿ وما أَرسلْنا من قَبْلك إلاّ رجالاً نُوحي إلَيْهِم من أَهْلِ الْقُرى أَفَلَمْ يسيروا في الأرض فَينْظُروا كَيْفَ كانَ عاقبةُ الّذين من قَبْلهم ولَدار الْآخرة خيرٌ للّذين اتَّقوا أَفَلا تعْقلُونَ ﴾ [يوسف: 109].

***

هلاك قوم لوط

<u>وسيلة الهلاك:</u>

حاصب مرسل، مطر السوء، انقلاب الموضع، إمطار حجارة من سجيل، إمطار حجارة من سجيل منضود، حجارة من طين، الصيحة.

<u>إقناع:</u>

﴿ ولُوطًا إذْ قَالَ لقَوْمه أَتأْتُونَ الْفَاحشَةَ ما سبَقَكُمْ بهَا من أَحَد من الْعَالَمين ﴾ [الأعراف: 80]

﴿ ويا قَوْم لَا يجْرمنَّكُمْ شقَاقي أَنْ يصيبكُمْ مثْلُ ما أَصاب قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُود أَوْ قَوْم صالحٍ وما قَوْمُ لُوط منْكُم ببعيد ﴾ [هود: 89]

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 161]

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [النمل: 54]

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: 28].

تحذير:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 161].

عناد وتكذيب:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 160]

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: 167]

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾ [القمر: 33].

شكوى ودعاء الرسول:

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: 77]

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: 56].

﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت: 33].

علم الرسول بحتمية النجاة والهلاك:

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود: 81].

وسيلة الهلاك:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [القمر: 34]

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[الأعراف: 84]

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾ [هود: 82]

﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾[الحجر: 74]

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: 40]

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [الشعراء: 173]

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [النمل: 58]

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ [الذاريات: 33]

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ [الحجر: 73]

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: 66].

العاقبة للمتقين:

﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: 59]

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 71]

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [الأنبياء: 74]

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت: 32]

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: 66].

هلاك قوم هود

وسيلة الهلاك:

صاعقة، الريح العقيم، ريح صرصر عاتية، ريح صرصر في أيام نحسات، ريح صرصر في يوم نحس مستمر، ريح فيها عذاب أليم، الصيحة، القارعة.

إبلاغ:

﴿ وإِلَى عَاد أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 65]

﴿ وإِلَى عَاد أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: 50]

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 124]

﴿ واذْكُرْ أَخَا عَاد إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[الأحقاف: 21]

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 124].

إقناع:

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 69]

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: 89].

تحذير:

عناد وتكذيب:

﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: 53]

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [هود: 59]

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 123]

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: 15]

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: 18].

شكوى ودعاء الرسول:

علم الرسول بحتمية النجاة والهلاك:

وسيلة الهلاك:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: 13]

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: 41]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة: 4]

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: 6]

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ [فصلت: 16]

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف: 24]

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر: 19]

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: 6]

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

[المؤمنون: 41].

العاقبة للمتقين والهلاك للظالمين:

﴿ ولَمَّا جاء أَمرنَا نَجَّينَا هُودًا والَّذين آمَنُوا معَهُ برَحْمَةٍ منَّا ونَجَّيْنَاهُمْ منْ عَذَاب غَليظ ﴾ [هود: 58]،

﴿ وأُتْبعُوا في هَذه الدُّنْيَا لَعْنَةً ويَوْمَ الْقيَامَة أَلَا إنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لعَاد قَوْم هُود ﴾ [هود: 60]

﴿ وأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ [النجم: 50]

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعَاد ﴾ [الفجر: 6].

***

هلاك قوم ثمود

وسيلة الهلاك:

صاعقة العذاب الهون، القارعة، الطاغية، الدمدمة والتسوية، الصيحة والرجفة والجثوم في الدار.

﴿ وأَخَذَ الَّذينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا في ديَارهمْ جَاثمي ﴾ [هود: 67]

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: 78].

إبلاغ:

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: 73]

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود: 61]،

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 142]

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: 36].

إقناع:

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: 155].

تحذير:

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴾ [الذاريات: 43]

﴿ ويا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: 64]

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس: 13].

عناد وتكذيب:

﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴾ [هود: 68]

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: 59]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 141]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل: 45]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ [القمر: 23]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ [الشمس: 11]

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: 77]

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: 59]

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ [الشعراء: 157]

﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ [القمر: 29].

شكوى ودعاء الرسول:

علم الرسول بحتمية النجاة والهلاك:

﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ [القمر: 27]

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود: 65].

وسيلة الهلاك:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: 13]

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: 17]

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة: 4]

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: 5]،

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ [الشمس: 14]

﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [هود: 67]

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: 78].

العاقبة للمتقين والهلاك للظالمين:

﴿ وثَمودَ فَما أَبقَى ﴾ [النجم: 51]

﴿ فَكَذَّبوهُ فَعَقَروها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ [الشمس: 14].

هلاك قوم شعيب

أسباب الهلاك:

الرجفة، الجثوم في الديار، الرجفة والجثوم في الدار، الصيحة والجثوم في الديار، يوم الظلة.

إبلاغ:

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: 85]

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 177].

إقناع وتحذير:

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ [هود: 84].

عناد وتكذيب:

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف: 88]

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: 90]

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: 87]

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: 91].

شكوى ودعاء الرسول:

وسيلة الهلاك:

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: 78]

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [العنكبوت: 37]

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [هود: 94]

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: 189].

العاقبة للمتقين:

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [هود: 94]

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 92].

إذًا فأكثر الأقوام هلكوا إلا قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقد نجو جميعا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين:

رسول الله يتجه إلى الطائف..

فكر رسول الله –وللمرة الأولى منذ البعثة– أن يخرج بدعوته خارج مكة، يذهب إلى بلد آخر يدعوهم إلى الإسلام يطلب نصرتهم ومساندتهم قبل ذلك لم يكن يخرج من مكة؛ لأن أبواب الدعوة كانت مفتوحة فيها ولو بمشقة ولو بصعوبة، ففكر رسول الله في أن يخرج ليدعو في مدينة الطائف.

لماذا اختار رسول الله الطائف؟

لم يكن اختيار الطائف اختيارا عشوائيًّا، بل كان اختيارا مدروسا؛ فرسول الله كان سياسيًّا بارعًا وقائدًا محنكًا، يدرس كل خطوة بدقة شديدة، فالطائف تتميز عن غيرها من مدن الجزيرة بعدة صفات:

أولًا:

تعتبر الطائف هي المدينة الثانية في الجزيرة العربية بعد مكة، ومركزا حيويًّا مهمًّا من مراكز الكثافة السكانية والتجارة، ولها مكانة في قلوب

العرب، حتى إن المشركين كانوا يقولون: {وقَالُوا لَولاَ نُزِّلَ هذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزُّخرف: 31]. والقريتان هما مكة والطائف.

ثانيًا:

يسكن في الطائف قبيلة ثقيف، وهي من أقوى القبائل العربية ولو آمنت لكانت سندًا عظيما للدعوة بقوة جيشها وكثرة عددها، خاصة وأن الظاهر لرسول الله في ذلك الوقت أن قريشًا ستظل تحارب الإسلام في المستقبل، وقد بلغ من قوة ثقيف أنها القبيلة الوحيدة التي استعصى على المسلمين دخول بلدها عنوة حتى جاء أهلها–بعد ذلك–مسلمين طوعًا.

ثالثًا:

المنافسة الدينية بين مكة والطائف كبيرة، فمكة وإن كان بها البيت الحرام وبها أيضًا الصنم الذي كان يقدسه كثير من العرب وهو هُبل، فإن الطائف كان بها صنم آخر من أهم أصنام العرب وهو اللات، وكثيرا ما كان يقسم به العرب على اختلاف قبائلهم، أما صنم العزى فكان في وادي نخلة على مقربة أيضًا من الطائف، فلو ذهب إليهم رسول الله بدعوته، فلعلهم يدخلون فيها طمعًا في سحب البساط من تحت أقدام أهل مكة.

رابعا:

الطائف قريبة نسبيًّا من مكة، المسافة حوالي مائة كيلو متر، والرسول لا يريد أن يبعد كثيرا عن مركزه الأول والذي تعيش فيه طائفة كبيرة نسبيًّا من المؤمنين، التعاون والتنسيق بين المركزين سيكون أسهل لو كانت المسافة قريبة، وبالذات في هذا الزمن الذي كانت فيه المواصلات شاقة.

خامسا:

كان لأغنياء قريش أملاك في الطائف، وخاصة بني هاشم وبني عبد شمس وكذلك بني مخزوم، فلو دخلت الطائف في الإسلام لكان ذلك ضربة اقتصادية موجعة لقريش.

إذن في الحسابات البشرية كانت الطائف مكانًا مناسبا للدعوة، ومن ثَمَّ عقد رسول الله العزم على الذهاب إلى هناك، وكان ذلك في شوال من السنة العاشرة من البعثة، في نفس الشهر الذي مات فيه أبو طالب.

الحذر الأمني في رحلة الطائف

المسافة بين مكة والطائف كما ذكرنا مائة كيلو متر تقريبا، والسفر في شوال سنة 10 من النبوة، وهو يوافق أواخر شهر مايو وأوائل شهر يونيو

سنة 619 ميلادية، يعني كانت درجة الحرارة آخذة في الارتفاع، وخاصة في هذه المنطقة الصحراوية المشهورة بشدة الحر، ومع ذلك فإن رسول الله قد قرر أن يقطع هذه المسافة ماشيًّا على قدميه، ولماذا يمشي على قدميه هذه المسافة الطويلة جدًّا؟ إنه لم يكن يعجزه أن يوفر دابة ينطلق بها إلى هناك، ولكنه لم يرد لفت الأنظار إليه، فمن حنكته الأمنية أنه فعل ذلك، ولو رآه أحد المشركين يركب دابة لشك في سفره إلى مكان ما، ورسول الله ممنوع من السفر، لئلا يقوم بنشر الدعوة خارج مكة، ومن ثَمَّ آثر رسول الله أن يقطع المائة كيلو متر سيرا على الأقدام، ولذات السبب؛ فإن رسول الله لم يأخذ معه كوكبة من الصحابة لحمايته، ولم يأخذ فارسا من الصحابة ليكون له سندًا، لم يأخذ حمزة بن عبد المطلب أو عمر بن الخطاب أو الزبير بن العوام أو سعد بن أبي وقاص، وكذلك لم يأخذ صديقه الأول أبا بكر الصديق، كل هذا لكي لا يلفت الأنظار إليه إذا رآه أحد المشركين، ولكنه أخذ معه غلامه زيد بن حارثة، وكان قد أعتقه وتبنّاه وأطلق عليه زيد بن محمد، فرؤية زيد مع رسول الله غير مستغربة، وفي الوقت نفسه فزيد يحب رسول الله حبًّا شديدًا، ويستطيع خدمته وحمايته والتضحية من أجله، وقد ظهر ذلك بوضوح بعد زيارة الطائف وما حدث فيها، وزيد بن حارثة لم يكن صغيرا في هذه الرحلة، كان يبلغ من العمر أربعين عاما تقريبا.

أخذ رسول الله بهذه الاحتياطات الأمنية، فخطط ليخرج من مكة على حين غفلة من أهلها، وانطلق إلى الطائف، مائة كيلو متر سيرا على الأقدام في الصحراء، وفي شهر مايو أو يونيو، كان من الممكن أن يطير رسول الله إلى الطائف بمعجزة كما حدث في الإسراء والمعراج أو يدعو إلى الله كما دعا بعض الأنبياء مثل سيدنا سليمان–عليه السلام–لتسخير الرياح له للسفر، ولكنها حكمة رسول الله أن يعلمنا طبيعة الطريق، ولابد أن نضع أقدامنا ونصبر حتى نوصل لأهدافنا بدون معجزات.

الرسول في الطائف

ذهب رسول الله إلى الطائف ووقف على أعتابها يفكر، إلى من يذهب هناك؟ ومن يدعو؟

الأمر الآن ليس دعوة فقط، بل دعوة وطلب للنصرة، فالموقف مع قريش أصبح حرجا للغاية، ولأنه سيطلب النصرة فلا بد أن يذهب إلى سادة ذلك المكان، فإن الضعفاء لن يجيروه من قريش، وهي موازنات مهمة يعقدها الداعية الناجح، ليس هذا تقليلًا من دور الضعفاء، ولكن هذه مهمة سياسية واضحة جدًّا وخطيرة للغاية، ولا بد أن يدرك رسول الله مع من يتحدث، ثم إن الرسول ليس من الطائف وليست له أصحاب هناك، ولكن قيادة الطائف قيادة مزدوجة ليست لقبيلة واحدة بل لقبيلتين؛ قبيلة بني

مالك وهي القبيلة الأصلية في الطائف والمتمركزة فيها منذ زمن، ولكنها منذ قديم شعرت بالضعف في مواجهة القبائل الضخمة المحيطة بالطائف مثل قريش وهوازن وبني عامر وغيرها، وعلمت أن أطماع الناس في الطائف كبيرة لخصوبة أرضها، فقررت أن تحالف قبيلة أخرى وتسكن معها في الطائف ويتقاسما قيادة الطائف، فتحالفت مع قبيلة أخرى هي قبيلة بني عمرو بن عمير؛ ولذا فقيادة الطائف بين قبيلتي بني مالك وبني عمرو، ثم إن الأيام مرت وثبت أن القبيلتين ضعيفتان نسبيًّا، فقررتا أن يتحالفا تحالفًا سياسيًّا مع بعض القبائل المحيطة بالطائف، فتحالفت قبيلة بني مالك مع قبيلة هوازن، وتحالفت قبيلة بني عمرو مع قريش، هذا التحالف لم يكن قائما على الحب والتعاون ولكنه كان يقوم على اتقاء الشر والخوف من إغارة إحدى هذه القبائل على الطائف، وكان رسول الله يدرك كل هذه الأبعاد جيدًا.

والآن نقف وقفة مع رسول الله نحلل معه الوضع الحرج، لو ذهب رسول الله إلى بني مالك فإنهم لن يقطعوا رأيًّا إلا بعد الرجوع إلى هوازن، وهوازن تعتبر كتابا مغلقًا بالنسبة لرسول الله فالدعوة لم تصل إليها بعدُ، وليس بين أبنائها مسلم وفي الغالب سيرفضون الدعوة خوفًا على مصالحهم

وسيادتهم وهذا نوع من الكبر والذي ادي الى هلاك أقوام الأنبياء كما ذكرنا في السابق.

أما إذا ذهب إلى بني عمرو التي تحالف قريشًا فإن الوضع مختلف، التحالف الذي يقوم بين بني عمرو وبني قريش يقوم على الخوف من قريش، فإذا وجدت قبيلة بني عمرو فرصة لإحداث انقسام في قريش فقد تأمن جانبها إلى الأبد، هذا رجل من ورائه بنو هاشم وبنو المطلب، ولا شك أن له أتباعًا في بقية بطون قريش، فلو آزرت بنو عمرو رسول الله انقسمت قريش بين مؤيد ومعارض، وهذا سيضعف شوكتها وتكون فرصة بني عمرو للتخلص من تهديد قريش، هكذا فكر رسول الله، ومن ثَمَّ عمد إلى سادة قبيلة بني عمرو، ولم يذهب إلى سادة قبيلة بني مالك المتحالفة مع هوازن.

رسول الله يدعو بني عمرو إلى الإسلام

اتجه رسول الله إلى ثلاثة من أبناء عمرو بن عمير وعرفهم بنفسه، وبدأ يدعوهم بدعاية الإسلام ويعرفهم بدين الله، ثم يطلب منهم النصرة له وللإسلام وللمؤمنين بمكة.

كان الثلاثة هم: عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير، وكانوا –كما ذكرنا– سادة من سادات الطائف وأوضاعهم مستقرة إلى حد كبير، فجاء هذا العرض من رسول الله ليطلب منهم أن يغيروا دينهم ويتركوا عبادة اللات إلى عبادة الله، ليس هذا فقط بل إن دخولهم في هذا الدين هو بمنزلة إعلان الحرب على قريش.

ومن الواضح أن هذا القرار الذي يطلبه رسول الله يحتاج إلى رجل حكيم، جريء، ثاقب النظر، عميق الفكر، ولكن يبدو أن هذه الصفات كانت بعيدة كل البعد عن أولاد عمرو بن عمير، فإنهم لما سمعوا هذا العرض من رسول الله ما لبثوا أن جزعوا وفزعوا وبدءوا يتكلمون بكلام هو أشبه ما يكون بالهذيان، لا يمتّ للحكمة بصلة من قريب ولا بعيد.

موقف سادة الطائف من دعوة الرسول

قال عبد ياليل بن عمرو: إنه سيمرط (أي سيمزق) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، أما مسعود فقال: أما وجد الله أحدًا غيرك؟! وأما الثالث حبيب

فقد قال: وهو يحاول أن يصطنع الذكاء قال: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولًا لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك.

وقلة أخرى منعدمة الأخلاق ثبت دين رسول الله، وهكذا عميت أبصار رجال الطائف عن الدعوة الواضحة النقية، وفشلت المفاوضات سريعا، وتلقى رسول الله ضربة محزنة جديدة، لكن رسول الله لم تفقده الضربة دقة التفكير ولا رجاحة العقل، فقد أسرع وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني (أي يظل هذا الموضوع بيني وبينكم).

وهذا حسٌّ أمني راق جدًّا من رسول الله، يأخذ بكل الأسباب، ولو شاء الله لأخذ بأَسماعهم وأبصارهم وألسنتهم، ولكن رسول الله يرسم لنا الطريق بدقة ليعلمنا–صلى الله عليه وسلم، لقد طلب من قادة ثقيف أن يكتموا هذه المفاوضات التي تمت، ما دام ذلك لن يضرهم في شيء، ومن الواضح أن رسول الله يحذر من أن يصل الخبر إلى قريش؛ لأنه لو وصل الخبر لقريش فسيتَّهم صراحة بتهمة التخابر مع قبيلة أجنبية، ومحاولة زعزعة نظام الحكم في مكة، وإثارة الفتنة.

وفوق ذلك فإن الكفار سيستغلون الفرصة لإبراز فشل رسول الله في دعوة ثقيف، وهو دليل في رأيهم على ضعف الرسالة، ورسول الله لأجل كل ذلك تمنى أن يكتم أولاد عمرو بن عمير أمره، لكن هؤلاء السادة كانوا فوق خفة عقولهم فاقدين للمروءة، فما لبثوا أن أغروا به سفهاءهم وغلمانهم يسبونه ويصيحون به، لكن رسول الله لم ييئس، بل مكث في الطائف عشرة أيام كاملة بعد هذا اللقاء، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، ولكن رفضوا جميعا.

إيذاء رسول الله في الطائف

حتى إذا جاء اليوم العاشر قالوا له اخرج من بلادنا، وأرسلوا خلفه عبيدهم وسفهاءهم، فصفوا أنفسهم صفين خارج الطائف وجعلوه يمر من بين الصفين وهم يقذفونه بالحجارة ويقذفونه بأسوأ الكلام والسباب، حتى سالت دماؤه الشريفة على كعبيه وتلون النعل بالدم، وكان زيد بن حارثة يبذل كل طاقته لتلقي الحجارة في جسده ورأسه حتى لا تصيب رسول الله، حتى شج رأسه، ورسول الله يسرع الخطا بين الصفين حتى انتهى منه، ويمم عائدًا إلى مكة، لكنهم لم يتركوه بل ظلوا يتعقبونه بالحجارة والسباب مسافة

خمسة كيلو مترات تقريبا من الطائف، وهو لا يدري ما يفعل، ولسان حاله يقول: يا ليت قومي يعلمون، حتى وجد حديقة فأسرع إليها يحتمي بها، وهو مثقل بالهموم والأحزان والجراح، فأسرع إلى ظل شجرة وجلس تحتها وأسند ظهره إلى الشجرة.

عندما نقرأ هذا الايذاء البشع لرسول الله الذي لم يحدث مثله مع الأنبياء من قبل نفهم حقًا أنه سينزل الله عليهم عذاب أشد واعظم من الأقوام السابقة مثل عاد وثمود.

فمد يده إلى السماء، وانهمرت عبراته وهو يدعو بدعاء ما دعا به قبل ذلك، وما دعا به بعد ذلك، دعاء يعبر عن مدى الألم والحزن والهم والغم الذي شمل كل كيان رسول الله، وقد أغلقت أمامه كل الأبواب إلا هذا الباب الذي لا يغلق أبدًا، باب الرحمن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ،

وَصَلُحَ عَلَيْه أَمرُ الدُّنْيَا وَالآخرَة منْ أَنْ تُنْزِلَ بي غَضَبَكَ أَوْ يَحلَّ عَلَيَّ سخَطُكَ، لَكَ الْعتبى حتَّى ترضَى، وَلاَ حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بكَ".

سلام الله عليك يا رسول الله ذلك هي استجابة الله للدعاء فانزل عليه جبريل عليه السلام فقال له: إنَّ اللهَ قَدْ سمعَ قَوْلَ قَومكَ لَكَ وما رَدُّوا عَلَيْك، وقَدْ بعَثَ إلَيْكَ ملَكَ الْجبال لتَأْمُرَهُ بما شئْتَ فيهمْ، فنادى عليه مَلَكُ الْجبَال فَسَلَّم عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يا مُحمَّدُ ذَلكَ فيما شئْتَ، إنْ شئْتَ أَنْ أُطْبقَ عَلَيْهمْ الأَخْشَبيْن (والأخشبان هما جبلا مكة: أبو قبيس وقيقعان ليهلك البلدة بالكامل ولا يبقي شي من أهلها كما حدث مع الأقوام السابقة)، فَقَالَ النَّبيُّ: "بل أَرجو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ من أَصْلابهمْ من يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ به شَيْئًا"، فقال له ملك الجبال "صَدق الله وإنك لعلى خلق عظيم".

وضح في هذا الموقف الدرجة الرفيعة المرموقة التي عليها رسول الله فلعلها المرة الأولى في تاريخ الأنبياء التي يحدث فيها مثل هذا الموقف، فيخير نبي في أن يهلك الله قومه أو يستبقيهم، فقد كان يأتي القرار بالهلكة ويؤمر النبي بمغادرة البلد فقط، لكن هنا الوضع مختلف جدًّا، وفي إرسال ملك الجبال إشارة واضحة أن الله لن يعتب على نبيه أن يختار إهلاك

الناس، بل إنه يشجعه على ذلك بإرسال ملك الجبال نفسه، وكان من الممكن أن يرسل جبريل فقط يعرض عليه الأمر، فلو وافق الرسول جاء ملك الجبال ليهلك البلدة.

وضح أيضاً في هذا الموقف شخصية رسول الله الهادئة التي تزن الأمور جيداً، فمع كل ما مر به من ألم وهم وحزن؛ بدأ من موت أبي طالب وموت خديجة رضي الله عنها، ثم خروجه إلى الطائف ورفض أهل الطائف للدعوة وقذفه بالحجارة والسباب والشتائم، مع كل هذا إلا أنه لم يكن انفعاليًّا في قراره، لم يتسرع ولم يتعجل، وكانت إجابته في منتهى الهدوء والرقي، وكأنه في أفضل أحواله وظروفه فالعاطفة والحنان، وتحكيم العقل من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالفعل مرت الايام فاسلمت مدينة الطائف بالكامل وذلك في السنة الثامنة من الهجرة بعد أن ضاعت منهم سنوات طويلة في الشرك.

الله–جل جلاله–حينما أثنى على النبي محمد–عليه الصلاة والسلام–ما أثنى إلا على خلقٍ، وكان عليه الصلاة والسلام سيد العلماء وسيد الفقهاء وسيّد الخطباء وسيّد القضاة الزعماء وسيّد المُربين والمُعلّمين كلُّ هذه

الصِّفات التي كان يتمتّع بها في أعلى درجة حينما جاء الثناء الإلهي جاء على خلقه عليه الصلاة والسلام فما سرّ ذلك؟ هذا السِّر هو أنّ الإنسانُ قُدْراته من الله إذا منحَهُ ذاكرةً قويَّةً أو لسانًا طليقًا أو قُوَّة محاكمة أو إدْراكًا عميقًا، فهذه خصائص خصَّها الله تعالى به فأنت حينما تريد أن تمدح ابنك أمام الناس هل تقول لهم عنده سيارة وأنا الذي أعْطَيته إياها؟ يجب أن تمْدحه بشيء فيه تقول: نال شهادة بدرجة شرف مثلًا فالإنسان أودع الله فيه نوازعَ وشهوات ورغبات وطبع فحينما يضبط هذه كلّها، ويخالف طبعه إرضاء لله عز وجل فهذا هو الذي يرقى به، وهذا هو الخُلق، فالخُلُق عمليَّة ضبط لك لسانٌ ويدٌ وعَيْنٌ وأُذن، فالخُلق عمليَّة ضبط لهذه الأعضاء والجوارح وهَذه المصالح والرغبات، فحينما تضْبطَها تقرُّبا لله عز وجل كان هذا من كسْبك، وهذا الذي يثْنى به عليك، لذلك ورد في عشْر أحاديث صحيحة أنَّ الإيمان حُسْنَ الخُلُق، وأكْمل المؤنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وأحسن المسلمين إسلاما أحسنَهم أخْلاقًا، وحسن الخلُق أفضل من أنْ تعْبد الله كذا سنة، وسوء الخُلُق يذيب الحسنات كما يذيب الخل العسل، ويُفْسدها كما يُفْسد الخلّ العسل، فَحُسْنُ الخُلُق هو كُلّ شيء في الإسلام؛ لأنه ثَمن الجنَّة وهو الذي يرقى بالإنسان، والذي يليق به فأنت بأخْلاقك أما بما تمْلك من قُدْرات فهذه وهَبها الله لك، والإنسان حينما يفْقد ذاكرته

ماذا يفْعل؟ مرضٌ خطير هو فقْدُ الذاكرة ولكن بالمُقابل الذي يتمتَّعُ بذاكرة قويَّة هذه من عند الله-عز وجل-منحه الله إياها والذي يتمتَّعُ ببصر حاد وبمُحاكَمة قويَّة وبفَصاحة كبيرة هذه كلها قُدْرات أوْدعها الله فينا، أما الذي فَي كسبهً والذي يَرقى بهً هي أخْلاقه، فالأخلاق عمَليَّةُ ضبْط لحَركة دافع ورغبات مُعيَّنَة فالضبط هو الخُلُق لذلك قال عليه الصلاة والسلام: عن شَدَّاد بن أَوْس عَن النَّبيِّ-صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ-قَالَ: "الْكَيِّس من دَانَ نَفْسهُ وعمل لما بعْد الْموت والْعاجز من أَتْبع نَفْسه هواها وتَمنَّى عَلَى الله".

وقال-عليه الصلاة والسلام-لو أَلْغَيتَ من الإسلام حسن الخُلق لأَلْغَيت الإسلام كلّه، ولو أَلْغَيْتَ من الإيمان حُسْن الخُلق لأَلْغَيت الإيمان كلّه، ولو أَلْغَيْتَ من الإنسان حُسْن الخُلق لأَلْغَيت إنْسانيَّته، فَحينما نُلْغي الأخلاق الفاضلة نُلْغي الدين لذلك قال عليه الصلاة والسلام.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبي هُريرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ:

كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خَلقًا وأكرمهم وأتقاهم، عن أنس رضي الله عنه قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا"، الحديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت "ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم"، رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

قال تعالى مادحا وواصفًا خَلق نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ((وإنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيمٍ)) [القلم–4]، قالت عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم.

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة رضي الله عنها ترشدنا إلى أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.

قال ابن كثر–رحمه الله–في تفسيره: ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمرا ونهيًّا سجيةً له وخلقًا، فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخَلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل.أ.هـ

عن عطاء رضي الله عنه قال: "قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يا أَيُّهَا النَّبيُّ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهدًا ومبَشِّرا ونَذيرًا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عَميًّا وآذانًا صمًّا وقلوبا غُلفًا" رواه البخاري.

ما المقصود بحسن الخلق؟

عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : ((البر حسن الخلق...)). رواه مسلم [رقم:2553]

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث السابع والعشرون في الأربعين النووية:

حسن الخلق أي حسن الخلق مع الله، وحسن الخلق مع عباد الله، فأما حسن الخلق مع الله فان تتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا

يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعا، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره، على الرغم من حسن خلقه حيث كان يدعو الله بأن يحسن أخلاقه، ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي". رواه أحمد ورواته ثقات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق". رواه أبو داود والنسائي.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله:

كان صلى الله خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته من طيب كلامه وحسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام، حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)) سنن الترمذي.

وكان من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يرقّق اسم عائشة . رضي الله عنها . كأن يقول لها: (يا عائش)، ويقول لها: (يا حميراء)، ويكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (يا ابنة الصديق) وما ذلك إلا تودداً وتقربا وتلطفًا إليها واحتراما وتقديرا لأهلها.

كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، "وكانت عائشة تغتسل معه صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، فيقول لها: (دعي لي)، وتقول له: دع لي". رواه مسلم.

وكان يسرِّب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها، وكان إذا هويت شيئا لا محذور فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرقًا–وهو العظْم الذي عليه لحم–أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ في حجْرِها، ويقرأ القرآن ورأسه في حجرِها، وربما كانت حائضاً ، وكان يأمرها وهي حائض فَتتَّزِر ثم

يباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خَلُقه مع أهله أنه يمكنها من اللعب.

عن الأسود قال: "سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قال: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة" رواه مسلم والترمذي .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان يخيط ثوبه ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم" رواه أحمد .

قال صلى الله عليه وسلم "إن من أعظم الأمور أجرا النفقة على الأهل" رواه مسلم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: اقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا

فتقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذا بتلك" رواه أحمد.

وقد روي: "أنه صلى الله عليه وسلم وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رضي
الله عنها رجلها حتى تركب على بعيرها" رواه البخاري.

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها، "إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه" رواه البخاري.

عدل النبي صلى الله عليه وسلم

كان عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته شرع الله تعالى ولو على أقرب الأقربي، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ" (النساء:135).

كان يعدل بين نسائه صلى الله عليه وسلم ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة كما كانت عائشة . رضي الله عنها . غيورة .

فعن أم سلمة . رضي الله عنها "أنها أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاءت عائشة، ومعها فهرٌ ففلقت به الصحفة، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحفة وهو يقول: (كلوا، غارت أُمكم . مرتين .) ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صحفة عائشة فبعث بها إلى أُم سلمة وأعطى صحفة أُم سلمة عائشة". رواه النسائي وصححه الألباني.

قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت: (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها).

كلام النبي صلى الله عليه وسلم

كان إذا تكلم تكلم بكلام فَصْلٍ مبين، يعده العاد ليس بسريع لا يَحفظ، ولا بكلام منقطع لا يدركُه السامع، بل هديه فيه أكمل الهديِّ،كما وصفته

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يتحفظه من جلس إليه" متفق عليه.

وكان عليه الصلاة والسلام لا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كرِه الشيء: عُرِفَ في وجهه.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
مع الأطفال

وعن أنس رضي الله عنه قال: "كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم" رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

كان صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه، وكان صلى الله عليه وسلم يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس، إذا قام حملها وإذا سجد وضعها، وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى ووضعهما بين يديه، ثم قال صدق الله ورسوله

"وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" (الأنفال:28)، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما، خلقه صلى الله عليه وسلم في معاملة الصبيان فإنه كان إذا مر بالصبيان سلم عليهم وهم صغار، وكان يحمل ابنته أمامه وكان يحمل ابنه ابنته أمامه بنت زينب بنت محمد–صلى الله عليه وسلم–وهو يصلي بالناس، وكان ينزل من الخطبة ليحمل الحسن والحسين ويضعهما بين يديه.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
مع الخدم

ومع هذه الشجاعة العظيمة كان لطيفًا رحيما، فلم يكن فاحشًا ولا متفحشا ولا صخَّابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، عن أنس رضي الله عنه قال: "خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا" رواه الشيخان وأبو داود والترمذي.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله"، وفي رواية "ما ضرب رسول الله شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله" رواه مالك والشيخان وأبو داود.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم".

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء:107)، وعندما قيل له ادعُ على المشركين قال صلى الله عليه وسلم: "إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة" رواه مسلم.

قال–عليه الصلاة والسلام: "اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاة وأجرا " رواه مسلم.

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم من ولي من أمرِ أمتي شيئا، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا، فرفق بهم، فارفق به"، قال صلى الله عليه وسلم: "هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم" رواه البخاري.

قال تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ..." (آل عمران:159)، وقال صلى الله عليه وسلم في فضل الرحمة: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" رواه الترمذي وصححه الألباني، وقال صلى الله عليه وسلم في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله: "أهل الجنة ثلاثة وذكر منهم ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم" رواه مسلم.

عفو النبي صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت له والله لا أذهب وفي نفسي أن

أذهب لما أمرني به صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟ قلت نعم، أنا أذهب يا رسول الله ، فذهبت" رواه مسلم وأبو داود.

فعن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزرموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن، قال: فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه" رواه مسلم.

تواضعه صلى الله عليه وسلم

وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوتهم دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر، وكان صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: ((تِلْكَ الدّارُ

الاَخرَةُ نَجْعَلُهَا للّذينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرض ولاَ فَسادًا وَالْعَاقبَةُ للْمُتّقينَ)) [القصص 83].

فكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذي يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله" رواه البخاري.

كيف لا وهو الذي كان يقول صلى الله عليه وسلم: "آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد" رواه أبو يعلى وحسنه الألباني.

كيف لا وهو القائل بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم: "لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتَ ولو دُعيت عليه لأجبت" رواه الترمذي وصححه الألباني.

كيف لا وهو الذي كان صلى الله عليه وسلم يحذر من الكبر أيما تحذير فقال: "لا يدخل في الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" رواه مسلم.
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية، عن انس رضي الله عنه قال: "كان صلى الله عليه

وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب" رواه الترمذي في الشمائل.

الإهالة السنخة: أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث .

مجلسه صلى الله عليه وسلم

كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط، عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له" رواه أبو داود والترمذي بلفظه.

عن أبي أمامة الباهلي قال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا، فقمنا إليه، فقال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً" رواه أبو داود أبن ماجة وإسناده حسن.

زهده صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكًا نبيًّا أو يكون عبدًا نبيًّا فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا، كان ينامَ على الفراش تارة، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رِماله، وتارة على كِساء أسود.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مزمول بالشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، ودخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر، قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى، فقال يا عمر: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال: بلى قال: هو كذلك".

وكان من زهده صلى الله عليه وسلم وقلة ما بيده أن النار لا توقد في بيته في بالثلاثة أهلة في شهرين، عن عروة رضي الله عنه قال: عن عائشة . رضي الله عنها . أنها كانت تقول: "والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال؛ ثلاثة أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله صلى

الله عليه وسلم نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان . التمر والماء ." متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم الشعير" رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني.

عبادته

كان عليه الصلاة والسلام أعبد الناس، ومن كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان عبدًا لله شكورا، فإن من تمام مكارم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين، وذلك بأن يعرف العبد حقّ ربه سبحانه وتعالى عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله عز وجل عليه من الفرائض، ثم يتمم ذلك بما يسر الله تعالى له من النوافل، وكلما بلغ العبد درجةً مرتفعةً عاليةً في العلم والفضل والتقى كلما عرف حق الله تعالى عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه عز وجل بالنوافل.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين في الحديث

القدسي الذي يرويه عن ربه إن الله تعالى قالى: (... وما يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه...) رواه البخاري.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف حق ربه عز وجل عليه، وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه . صلوات ربي وسلامه عليه . ويسجد فيدعو ويسبح ويدعو ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع لله عز وجل حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، فعن أبو داود وصححه الألباني . رضي الله عنهما . قال: " أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء".

وعن عائشة . رضي الله عنها .: "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورا"

وكان من تمثله صلى الله عليه وسلم للقرآن أنه يذكر الله تعالى كثيرا، قال عز وجل: ((...وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)) [الأحزاب–35]، وقال تعالى:
((... فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ))[البقرة 152].

ومن تخلقه صلى الله عليه وسلم بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذًا لأمر ربه عز وجل أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال صلى الله عليه وسلم: "لأن أقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس" رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم : "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت" رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم : "ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله" أخرجه الطبراني بسند حسن.

كان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس دعاء، وكان من أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: "اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" متفق عليه.

وعن عائشة . رضي الله عنها . أنه كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته: "اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل" رواه النسائي وصححه الألباني.

دعوته

كانت دعوته عليه الصلاة والسلام شملت جميع الخلق، كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أكثر رسل الله دعوة وبلاغا وجهادًا، لذا كان أكثرهم إيذاء وابتلاء، منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا.

وقد ذكر كتاب زاد المعاد حيث قال أن دعوة النبي عليه الصلاة والسلام كانت على مراتب

المرتبة الأولى: النبوة، الثانية: إنذار عشيرته الأقربين، الثالثة: إنذار قومه، الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة، الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدّهر.

وقد قال الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم: "قُلْ هَذه سَبيلي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"

وهذا أيضًا من أخلاقه عليه الصلاة والسلام، ومن أخلاق أهل العلم جميعا، أهل العلم والبصيرة أهل العلم والإيمان أهل العلم والتقوى، ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى

مزاح النبي صلى الله عليه وسلم

كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمازح العجوز، فقد سألته امرأة عجوز قالت: "يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال:

أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ((إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا)) [الواقعة 35 – 37]" رواه الترمذي في الشمائل وحسنه الألباني.

وكان جُلُّ ضحكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهايةُ ضحكه أن تبدو نواجذُه.

كرم النبي صلى الله عليه وسلم

من كرمه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل يطلب البردة التي هي عليه فأعطاه إياها صلى الله عليه وسلم.

صبر النبي ﷺ عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة، وهذه الشدة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان، قال تعالى: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ

رحماء بينهم" [الفتح:29]، ومن صبر النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، والأخشبان: جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان.

فقد أخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال: "رأيت إبراهيم وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا

إبراهيم إنا بك لمحزونون".

تعاون النبي ﷺ عليه وسلم

قال عليه الصلاة والسلام : "من استطاع منكم أَنْ ينْفَع أَخاه فَلْينْفَعه"، عن ابن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يأنف ولا

يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته" رواه النسائي والحاكم.

الخاتمة

أصدقائي وإخواتي الأعزاء وما الدنيا إلا أيام معدودة، فعليك الآن أن تختار الرجوع إلى سكنك الحقيقي بجنات الخلد أو أن تذهب إلى دار العذاب الثاني بجهنم والعياذ بالله، ولا يوجد اختيار ثالث لبقاء الإنسان، مع العلم أن الله سيغفر لمن يشاء ويخرجه من النار إلى الجنة، ولكن بعد أن يذوق العذاب، ولكن لديك الفرصة للعودة إلى الله سبحانه وتعالى الآن وأنت على الأرض بالتوبة عما فعلت، وبالتحلي بصفات الشافع لنا يوم القيامة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لتدخل الجنة بلا سابقة عذاب، وهذ الأمر ليس بصعب بل هو قمة الانسجام والهدوء والحب والترقي بالنفس، وسوف يفتح الله لك أبوابا مغلقة بها رزق واسع وحياة كريمة في هذه الدنيا، حتى تلقي الله بنظرة الحب يوم القيامة، فالتحلي بالصفات الراقية هي مولد جديد لدخولك عالم الراحة والهدوء والاستقرار، ومرحبا بك في دار جنة الدنيا وجنة الآخرة.

قال تعالى: "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا *ذلك الفضل من الله وكفى

بالله عليما" [سورة النساء:69-70].

وقال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" [سورة الأحزاب:21].

فأكمل المؤمنين إيمانًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأعظمهم اتباعًا، له وأسعدهم بالاجتماع معه: المتخلقون بأخلاقه المتمسكون بسنته وهديه، قال صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا".

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من خياركم أحسنكم خلقا".

قال عليه الصلاة والسلام: "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن؛ وإن الله يبغض الفاحش البذيء". وفي رواية: "وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة".

وقال صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لأهله"، وفي رواية: ((لنسائهم))، وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال: "أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا".

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن هذه الأخلاق من الله تعالى؛ فمن أراد الله به خيرا منحه خلقًا حسنًا"، وروي عنه صلى الله عليه وسلم: إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد... صدق الله "وإنك لعلي خلق عظيم".

جاري إعداد الجزء الثاني "أخلاق عبر العصور".

المراجع

1- آيـات القرآن الكريم مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود.

2- المجلس العلمي –مجالس العلوم الشرعية– إشراف د.سعد بن عبد الله الحميد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

3- موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية.

4- المكتبة الشاملة –مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

5- موقع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية على الإنترنت.

6- أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم: للشيخ عبد المحسن العباد.

7- الاختبار: للشيخ عبد العزيز القاري.

8- البضاعة الفاسدة: للشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الاهداء	3
مقدمة الباحث	6
كيف علمت الملائكة أن ذرية آدم ستفسد في الأرض	8
مظاهر تكريم الله للإنسان	13
مظاهر رحمة الله بالإنسان	17
ماذا لو لم يكن هناك أنبياء	32
نماذج فاسدة ذكرت في القرآن	36
كيف كان الحوار بين الأنبياء وربهم وأقوامهم	39
الحوار بين عيسى عليه السلام وربه وقومه	47
الحوار بين نوح عليه السلام وربه وقومه	48
الحوار بين شعيب عليه السلام وربه وقومه	52
الحوار بين صالح عليه السلام وربه وقومه	55
الحوار بين إبراهيم عليه السلام وربه وقومه	59
الحوار بين لوط عليه السلام وربه وقومه	66
الحوار بين موسى عليه السلام وربه وقومه	70

هلاك قوم لوط..... 79

الموضوع رقم الصفحة

هلاك قوم هود..... 82
هلاك قوم ثمود..... 85
هلاك قوم شعيب..... 88
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين..... 91
الخاتمة..... 127
المراجع..... 130

التواصل عبر الفيس بوك

https://www.facebook.com/shady.elkordy.9

002/01091186989

shadyelkordy@hotmail.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار أدباء 2000 للنشر والتوزيع

تابعونا على الهاشتاج الخاص بنا

#أدباء_2000

وعلى الصفحات الر سمية للدار

https://www.facebook.com/Odabaa2000/

https://www.facebook.com/groups/1686/790618200616

https://www.facebook.com/odabaa2000.Publishinghouse